800

تراثنا الإسلامي والعصر

800

الدكتور
محمد صالح ناصر

100

مكتبة الضياء للنشر والتوزيع
ص.ب ٢ السيب الرمز البريدي (١٢٠)
سلطنة عمان

ملك جمعية
د. إسماعيل إبراهيم الطنيش
لدراسة التراث

تراثنا الإسلامي والعصر

مكتبة الضامري
سلطنة عمان

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ /١٩٩٥م

مكتبة الضامري للنشر و التوزيع
ص ب ٢ السيب الرمز البريدي ١٢١
هاتف ٩٥٥٥٨٧
سلطنة عمان

تراثنا الإسلامي والعصر

مكتبة الضامري للنشر و التوزيع

الدكتور/ محمد صالح الناصر

مدخل:

معنى كلمة «التراث»

تجمع المعاجم العربية على أن كلمة «تراث» مأخوذة «من فعل» «ورث» وأن التاء فيها مبدلة من الواو، فالعرب يقولون ورثت الشيء من أبي أرثه وراثة وارثا. وفي القرآن الكريم. . ﴿وورث سليمان داوود﴾ النمل/ ١٦.

ويجمع اللغويون على أن التراث هو ما يخلفه الرجل لورثته، وأن تاءه أصلها الواو، أي الوراث. وله نظائر في كلمات أخرى منها مثلاً التجاه التي أصلها الوجاه أي الجهة. ومن هذه النظائر أيضا التقى التي أصلها الوقى، وقد دار قلب الواو المتعددة لهذه الكلمات باء لانها اجلد من الواو وأقوى ولا تتغير بتغير أحوال ما قبلها(١).

ويسوي إبن الاعرابي (ت: ٢٣١ هـ) بين كلمة التراث وبقية الأسماء المشتقة منها فيقول. الورث، والإرث، والوراث، والإراث، والتراث، واحد(٢).

---

(١) عبدالسلام هارون، قطوف أدبية، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٧٧.
(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة: ورث.

وقد وردت الكلمة بهذه الصيغة في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿وتأكلون التراث أكلاً لما﴾ الفجر/ ١٩.

ومعناها كما يقول المفسرون وتأكلون الميراث أكلا لما دون التحرج من الطريقة التي جاءكم بها حلالا كانت أم حراما، ولعله تعريض بما يفعله العرب في جاهليتهم التي كانوا يمنعون فيها توريث النساء وصغار الأولاد، فيأكلون نصيبهم ويقولون «لا يأكل الميراث الا من يقاتل ويحمي حوزة القوم، وكانوا يلمون جميع ما تركه الميت من حلال أو حرام ويسرفون في إنفاقه».

ومما ورد في الشعر القديم قول سعد بن ثابت وهو شاعر إسلامي كان بلال بن أبي بردة قد هدم داره لأنه أصاب دما في قوم:

فان تهدموا بالغدر داري فانها
تراث كريم لا يبالي العواقبا

وظلت هذه الكلمة محدودة الاستعمال تنوب عنها اختها «الميراث» في كثير من مجالات استخدامها إلى أن أطل علينا العصر

الحديث، وفي ظل المواجهة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. بدأت تشيع على ألسنة الكتاب والباحثين والمحققين هذه الكلمة. وتطورت في معناها ومدلولها اللغوي، فأصبحت تشمل في معناها الواسع نتاج الحضارة في جميع ميادين النشاط الانساني من علم، وفكر، وأدب، ومأثورات شعبية، وآثار، ومعمار، وتراث فلكلوري، واجتماعي، واقتصادي.(١).

وهكذا اتسع مدلولها ليعبر عن الحضارة بكل جوانبها، ومن ثم فإن كلمة التراث بمشتقاتها المتفرعة عنها، كثيرا ما صاحبت التغيرات التي تعرفها أمتنا العربية والاسلامية في مراحلها التاريخية الحاسمة، ومن أهمها في عصرنا الحديث ما تمخضت عنه الحرب العالمية الأولى من صراعات جادة بين أمتنا من جهة وبين الصهيونية والغرب من جهة ثانية، فلم يعد غريباً إذا أن تأخذ هذه الكلمة أبعاداً سياسية واجتماعية، تعبيرا عن مشاعرنا، وكما نلحظ هذا التغير والإتساع بعد عودة الوعي الإسلامي إلى الذات العربية ولا سيما في الستينيات التي أفرزت المواجهة بين الداعين الى التمسك بمقومات الشخصية لغة ودينا كعامل من عوامل التحدي والثبات لمواجهة أعداء أمتنا، وبين

(١) د. محمد عبدالقادر احمد، دراسات في التراث العربي، القاهرة ١٩٧٩، ص ٥.

أولئك الذين يزعمون أن هذا التمسك بالتراث والرجوع اليه هو في حد ذاته من الأسباب الأساسية التي أدت بنا إلى الإنهزام والإنكسار.

فأصبح الصراع حينئذ بين الداعين الى المقومات الشخصية الأساسية والتي من بينها التراث، وبين الداعين الى المعاصرة والحداثة الذين لا يرون سبيلا الى الإنبعاث والنهوض والقدرة على مواجهة التحدي الأجنبي والصهيوني إلا بالتخلي عن الذات بتقليد الغرب في كل شيء.

ومن هنا نلحظ كيف توسع مدلول هذه الكلمة من الميراث الذي يعني كل ما يخلفه الرجل لورثته، الى مدلول حضاري واسع ليشمل مجموعة ما تعتز به الأمة من تجارب ومعطيات، ومكونات حياتها الشاملة، وعوامل التأثير والصياغة في هذه الحياة(١).

والذي يعنينا نحن في هذا البحث جانب أساسي من هذا المفهوم الواسع وهو التراث الفكري المتمثل في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة، بعضها نقرأه مطبوعا وأغلبه ما يزال

(١) د. عبدالله فهد النفيس، التراث وتحديات العصر، ص ١٣.

في رفوف المكتبات في كل أنحاء العالم محفوظا ينتظر جهود الأفراد والدول ليرى النور ويؤدي دوره الذي من أجله بذل الجهد والوقت والمال.

ونود قبل أن نتحدث عن أهمية التراث الفكري أن نجيب عن تساؤل لا شك في أنه يلح على القارىء الكريم وهو «ما هي المدة الزمنية المعينة التي نستطيع معها القول عن أثر فكري ما هو تراث أم غير تراث؟

يقول عبدالسلام هارون وهو من المحققين البارزين في هذا المجال:

«ليست هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث كان، فكل ما خلفه مؤلف من انتاج فكري بعد حياته ـ طالت تلك الحياة أو قصرت ـ يعد تراثا فكريا(١).

ومهما تختلف نظريات الباحثين حول تحديد المدة الزمنية التي يسمح معها استخدام هذه اللفظة، فان النظرية الغالبة، وهي المتطابقة مع الواقع والمستجيبة للمفهوم الدقيق لهذه الكلمة ـ هي أنه

(١) هارون، قطوف، ص ٧٩.

يتساوى في إطلاق هذه اللفظة كل أثر يتركه الميت دون تحديد مدة معينة تمر على زمن وفاته، فالذي مات قبل مائة عام يتساوى في هذا المعنى مع من مات البارحة.

أهمية التراث وضرورته

إن التراث الفكري لأية أمة من الأمم هو ذاكرتها التي يرتسم فيها ماضيها، وهو قلبها النابض الذي يدفع دم الحياة في شرايينها، وهو المقياس الذي تقاس به مكانتها في الحضارة الإنسانية، وبكلمة مختصرة: إن التراث هو الماضي، والحاضر، والمستقبل.

هو الماضي لأنه وليد تجارب سابقة قد تكون ضاربة في القدم آلاف السنين، وهو الحاضر لأننا كما يستحيل علينا أن نتصور شجرة وارفة الظلال دون جذور راسخة في الثرى، كذلك لا نتصور أمة حية تواكب الحياة وتسايرها وهي لا تستمد هذه الحياة من ماضيها وتجارب سابقيها.

ولأنه المستقبل لأن المستقبل وليد تخطيط وإعداد يومي، والشجرة الوارفة التي تحدثنا عنها لا يمكن ان تعطي الثمار فيما يستقبلها من الأيام إن لم تجد من رعاتها السقي والتشذيب والعناية الكافية.

ومن ثم فإن الأمم حين تعنى بتراثها الفكري جمعا ودراسة، تحقيقا وتعليقا، إنما هي تعنى في حقيقة الأمر بكيانها ووجودها،

وإهمالها له خطوة أولى نحو الإنحلال والذوبان، وعلامة من علامات الشيخوخة والوهن.

والمتتبع للنهضات الفكرية لدى الأمم المتحضرة شرقية كانت أم غربية، يلحظ بأنها ترسي قواعدها على بعث تراثها الفكري أولا وقبل كل شيء، بل هي لا تستطيع أن تكون ذات حضارة إلا بقدر مالها من فكر وعلم.

وما من أمة من الأمم إلا وقد تعرضت حضارتها للسنن الكونية من ضعف ثم قوة ثم ضعف، كالإنسان تماماً ينشأ طفلاً، ويستوي شابا، ثم ينتهي شيخا.

وقد تتجمع بعض العوامل الذاتية أو الخارجية فتصيب هذه الأمة أو تلك بالوهن والتمزق والضياع. كما هي حال أمتنا الإسلامية اليوم، ولكن حتى في هذه الحالة فإن استرجاع القوة، والتلاحم، والثبات، مرهون بشعورها بذاتها ومدى وعيها بمقوماتها، وهل ثم ذات أو مقوم بغير العلم والفكر؟ وهل يوجد علم أو فكر لا يستمدان أصالتهما من الماضي؟

وهل يوجد ازدهار أو استقرار وهو غير مؤسس على المعطيات

الذاتية المعنوية والمادية؟

لذا كان لزاما على أمتنا الإسلامية أن تستمد وعيها بذاتها من نفس عميق تتنفسه من هذا الهواء النقي غير الملوث بحضارات دخيلة، أو تجارب هجينة. فان هذا النفس القوي كفيل بأن يزود الدم بالأوكسجين الضروري لحياتنا، ومن دون هذا النفس القوي الذي يملأ الرئتين، سنظل نشكو من فقر الدم في أحسن الحالات أو نصاب بداء فقدان المناعة في أسوإ الحالات. وفي كلتا الحالتين نكون مهددين بالموت والفناء في كل لحظة ـ لا قدر الله ـ.

وإذا كانت هذه هي مكانة التراث بالنسبة لحياة الأمم في مفهومه العام، فان الأهمية التي يجب أن يلقاها التراث الفكري عندئذ أولى وأحرى، لأن المظاهر الحضارية الأخرى كالمعمار، والآثار، وطرق الري، والفنون التقليدية، والفلكلور الشعبي، وما أشبه، تتعلق بأشياء مادية. أما التراث الفكري فيتعلق بخلاصة التجارب في هذه الميادين كلها.

ومن ثم نجد أحد المحققين المسلمين البارزين في عصرنا الحاضر وهو الأستاذ عبدالسلام هارون يذهب إلى أبعد من هذا حيث يذهب

إلى أن في الانسان شعوراً غريزيا يدفعه الى العناية بتراثه الفكري والحنين اليه، فهو في اعتباره لا يقل أهمية عن الوطن الذي يرتبط به ارتباطا ماديا ومعنويا. فإذا كان حنينه إلى الوطن وليد تعلق بالمهد الذي ربي وترعرع فيه فإن حنينه الى تراثه الفكري هو الحنين الى المهد الاول لتفكيره ولنفسه.

يقول: «... وكما أن الوطن هو المهد الأول لجسم الإنسان يحن إليه كلما بعد به المطاف في بلاد الله، ويشعر في قرارة نفسه بحبه وتفديته والإستهانة ببذل المال والنفس في سبيل الحفاظ عليه، ويدين له أبداً بالولاء والإعزاز مهما أغرته المغريات وباعدت بينه وبين أرضه ضرورات العيش، كذلك يعد التراث الفكري هو المهد الاول لتفكيره ولنفسه، وأي انفكاك بين المرء ووطنه، أو بين المرء وتراثه، يخلق منه أمرؤاً تتجاذبه أطراف الضياع، وفقدان النفس، وضياع النفس مدعاة إلى التفكك والتخلخل. والشعور بالبؤس والمذلة اللتين لا تطيب معهما الحياة....»(١).

(١) المصدر السابق، ص ٧٩.

تطور حركة إحياء التراث

- ارتبطت حركة إحياء التراث في العالم العربي باليقظة التي عمت كل اقطارها ولا سيما بعد الحرب العالمية الاولى. ولو أن بعض المؤرخين يربطون هذه الحركة بحملة نابليون على مصر اعتباراً من أن هذه الحملة كانت بمثابة الصدمة بين حضارتين شرقية وغربية. فقد كان من نتائج هذا الوعي أن أحس المثقفون الواعون في تلك الأقطار بإبراز عظمة تاريخهم، وأنهم هم وحضارتهم ليسوا عالة على ما جاء من الغرب أو ملكاً لأولئك الأجانب الذين جاؤوا يمثلون السيطرة والاستغلال والتعالي(١).

وإذا كان الوعي بالذات هو الطابع العام لهذه اليقظة فإن الصدمة الحضارية بهزتها العنيفة جعلت المثقفين يختلفون في تبني أسلوب واحد في مواجهة هذه الصدمة، من بينهم من يرى أن لا خلاص من التبعية والإستغلال والإستعمار إلا بالإستقلال بأتم معنى الكلمة، أي بمواجهة الحضارة الغربية بحضارة إسلامية تضمن الحصانة وتثبت للتحدي. ومن بينهم من أصيب بحالة من الإنبهار بالنموذج الغربي، فرأى أنه لا سبيل إلى اللحاق بركب الحضارة

(١) د. عبدالمجيد دياب، تحقيق التراث العربي، ص ١٠٨.

والمعاصرة إلا بالإنسلاخ الكامل من موروثاتنا كلها وتقمص الشخصية الأوروبية.

لعل هذه النظرة المتهافتة تعد في حد ذاتها دافعا قويا لاؤلئك الذين رأوا الخلاص الوحيد في إحياء التراث الإسلامي بطريقة تتماشى مع واقع ما بعد الحرب العالمية الأولى أي أنها تحيي التراث بطريقة عصرية متجددة.

والواقع إن هذا القسم الذي تبنى هذه النظرة لا يخلو من متطرفين مغالين «ينزعون للاعتزاز بالآباء والأجداد ودورهم التاريخي وإسهاماتهم في مجال الحضارة والثقافة والعلوم دون إحياء لهذا الدور، وكأنهم بذلك يحاولون تجاوز حالة الشعور بالذل والإنكسار النفسي التي أوقعتنا فيها الصدمة الحضارية فانغمسوا في تعظيم البطل لكنهم عجزوا عن البطولة(١).

ولا يخفى ما في النظرة المنبهرة بالنموذج الغربي ولا ما في النظرة المنطوية على النموذج الأبوي من اختلال أو انحلال جعلت بعض الدارسين يقول عنها وهو على صواب في ذلك.

(١) د. النفيس، التراث.. ص، ١٢.

«وقد لا يجد الإنسان المتأمل كبير فارق بين دعاة المعاصرة هؤلاء الذين لا يرون سبيلها إلا بالتخلي عن الذات المترافق مع الشعور باستحالة اللحاق بالعصر الذي يشل الامكانية ويعطل الفاعلية فيدعون الى تقليد الغرب في كل شيء، وبين التراثيين (كذا) أولئك الذين يقتصرون على الفخر بالماضي والإعتزاز به بحجة أن الأولين لم يتركوا للآخرين شيئا... إنهم يقفون على أرض واحدة ويتنفسون هواء مناخ واحد هو مناخ الواقع المتخلف(١).

وامتدادا لتلك النظرة المنبهرة بالنموذج الغربي نجد من الدارسين اليوم من يزعم أن الذين تحملوا عبء إحياء التراث العربي «هم العصريون المجددون ممن اتصلوا بالغرب الحديث أوثق اتصال، ونهلوا من موارد ثقافته.(٢)

والواقع يصعب على المرء أن يعلق هذا الشرف بصدر أناس لم يؤمنوا بالتراث باعتباره جزءا من الحضارة الإسلامية، ولم يتخذوه وسيلة للإحياء والنهوض، ولم يقيموه على أساس أنه البديل عن الثقافة الأجنبية الوافدة.

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) ذياب، تحقيق التراث، ص ١٠٩.

ولا يخفى ما في هذا الرأي من التهافت لأنه يشير من طرف خفي إلى أن طرق الإحياء، ونشر التراث، وتحقيقه، جاءتنا عن طريق المستشرقين، ونحن لا ننكر دورهم كما سنوضح هذا فيما بعد. ولكن الواقع التاريخي يؤكد أن حركات إحياء التراث ارتبطت بمؤسسات ذات طابع إسلامي، وأن الذين سهروا على هذه الذخائر والكنوز والنفائس علماء أجلاء حملوا مشعل النهضة الثقافية منذ مطلع القرن العشرين، وتوزعوا في بقاع شتى من العالم الاسلامي مشرقا ومغربا، وما من شك في أن تلك الجهود قد تفاوتت بقدر ما تنوعت وتباعدت، ويؤكد هذه النظرية أحد رواد التحقيق في العالم الاسلامي حيث يقول:

«لقد كانت فكرة إحياء التراث والنشاط فيه فكرة قومية، قبل أن تكون فكرة علمية، فان طغيان الثقافة الأوروبية والنفوذ التركي وضغطه كاد أن يأخذ بمخنق العرب في بلادهم، فأرادوا أن يخرجوا إلى متنفس يحسون فيه بكيانه المستمد من كيان أسلافهم، في الوقت الذي ألفوا فيه الغرباء من الأوروبيين يتسابقون وينبشون كنوز الثقافة العربية فانطلقوا. . .(١).

(١) هارون، قطوف.. ص، ٧٣.

والذي يجسد هذه النظرية في مسار التاريخ الإسلامي الحديث، هو أن المتتبع للحركات الإصلاحية والنهضات القومية في العالم الإسلامي يجدها تتخذ من وسائل النهوض والشعور بالذات تحسيس أبناء جلدتهم بالاهتمام بالتراث والعودة اليه، والعب منه، والتعمق فيه، ودراسته وإخراجه للناس إخراجا يتماشى مع العصر.

نلحظ هذا الإتجاه عند جمال الدين الافغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، والكواكبي، وسعد زغلول، وأحمد زكي باشا شيخ العروبة، ومحب الدين الخطيب، والشيخ أطفيش، ونورالدين السالمي، وعبدالحميد بن باديس، والشيخ بيوض، وأبوإسحاق إبراهيم أطفيش وغيرهم من رواد التجديد والاصلاح في العالم الإسلامي.

لقد تيقن هؤلاء تحت وطأة الصدمة الحضارية التي فتحت عيونهم وشحذت أذهانهم، أن الغرب حينما تغلب على الأمة الإسلامية وأصابها بالتمزق والضياع، إنما تغلب عليها بالعلم والتكنولوجيا، أو بعبارة أدق تغلب عليها بسلاح الفكر والمال، وأن الأمم الإسلامية لم تقع أسيرة الاستعمار الاستيطاني، والتبعية الإقتصادية، إلا عندما أهملت هذين العنصرين، وعوا ذلك وقدروه

ووعوا في الوقت نفسه أن هذه الأمة بالذات كانت القائدة لا المقودة، الرائدة لا المقلدة، فكان هذا التقدير وذلك الوعي في حد ذاته كافيين لأن يثيرا التساؤل عن أسباب النهوض، ويحركا الهمم لتعود الى التاريخ بحثا عن وسائل الرقي في تراثنا الفكري، وتنقب في بطون الكتب عن عوامل الغلبة والتمكين. لقد صاحب هذا الاحساس

تلك المجامع اللغوية التي أخذت تؤسس في العالم العربي في مصر، وسوريا، والعراق، والأردن، وغيرها تعبيرا عن التمسك بالذات في مواجهة التحدي الحضاري، ووعيا بأن الرقي لا يكون برفض النموذج الغربي رفضا كليا وإنما نأخذ منه الإيجابيات ونرفض السلبيات. ونستفيد من التجارب الإنسانية دون انسلاخ من مقوماتنا لغة ودينا، بعبارة مختصرة وعوا أن الإلتقاء مع الحضارة الغربية ينبغي أن يكون في استغلال الوسائل لا في تحطيم البدائل.

وهكذا ظهرت إلى حيز الوجود نهضة علمية تراثية قوية تستخدم كل الوسائل الحديثة لإحياء التراث الفكري وإغنائه والإ ستفادة منه. تمثلت هذه الوسائل في المطابع، والمؤسسات التعليمية، والنوادي الثقافية، ودور النشر، وقوي هذا الاتجاه في العشرينيات والثلاثينيات حتى إننا لنجد في العالم العربي مؤسسات علمية تكاد

تكون متخصصة في نشر التراث الفكري وإحيائه.

وكانت لبنان هي الرائدة في هذا المجال بحكم احتكاكها المبكر مع النموذج الغربي عن طريق المسيحيين، وبحكم ما يتمتع به اللبنانيون من حس تجاري، فكانوا وما يزالون متفوقين في مجال الصناعة بصفة عامة دون النظر الى التخصص في هذا المجال المعرفي أو ذاك أو هذا الاتجاه أو ذاك. فهي من هذه النظرة تعد مساعدة بالوسائل التقنية المتطورة، والتجربة الفنية العريقة.

ولكن عندما نتحدث عن إحياء التراث العربي الإسلامي بصفة خاصة، ـ وهذا ما يعنينا هنا ـ تكون الريادة لمصر، وسوريا، والعراق، بدون منازع. ولعل من الوفاء والتقدير أن نتذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض المؤسسات الطباعية التي أدت دوراً هاما في هذا المجال، وارتباط اسم بعض منها بالأمهات من هذا التراث، يحتم على الباحث الموضوعي أن يذكرها فيشكرها.

ومن أوائل هذه المؤسسات مطبعة (بولاق) التي عرفت بأنها من أوائل المطابع عناية بنشر أمهات التراث أمثال: صحيح البخاري، وخزانة الأدب للبغدادي، والأغاني لأبي الفرج الاصفهاني، ولسان

العرب لابن منظور، وصحاح الجوهري، والقاموس المحيط للفيروزبادي، وكتاب سيبويه، والمخصص لابن سيدة، وشرح الحماسة للتبريزي، وغيرها مما لا يزال في مكتباتنا الخاصة والعامة حتى اليوم بطبعاته المبكرة تلك.

ونذكر أيضا جهود دار الكتب المصرية التي تعد معلما من معالم التراث الفكري الإسلامي حفظا، وتحقيقاً، ونشراً. وقد ارتبط اسمها بما كان يحققه ويطبعه القسم الأدبي بها، ذاك الذي كان ناديا ثقافيا عظيما يجتمع فيه العلماء والفقهاء والأدباء، وقد عرف المثقفون في أنحاء البلاد الإسلامية أسامي كتب خالدة ذات مجلدات ضخمة مثل صبح الأعشى، ونهاية الأرب، والأغاني، والنجوم الزاهرة، وتفسير القرطبي وغيرها تذكرنا مكتبة مصطفى الحلبي، ودار إحياء الكتب العربية، وجمعية المعارف ومكتبة الخانجي، والمكتبة السلفية(١).

هذه المكتبة التي قدمت للإسلام يدا طولى بفضل صاحبها الداعية الكبير محب الدين الخطيب، الذي يعد بحق واضع البذرة الأول للصحوة الاسلامية، بمجلتيه الفتح والزهراء اللتين بفضلهما

(١) المصدر السابق، ص، ٣٨.

فتحت عيون المثقفين المسلمين الى ما يحيكه الغرب من دسائس، الهدف منها الإستيطان العسكري عن طريق السياسة، والغزو الثقافي والروحي عن طريق التنصير. ويعود الفضل لهذه الدار التي يعد صاحبها من أخلص أصدقاء أبي اسحاق ابراهيم أطفيش في نشر تراث أهل الدعوة مثل شرح النيل وشفاء العليل، والذهب الخالص، وجوهر النظام. ويعد محب الدين الخطيب أول من انتهج طريق الدعوة الى الله عن طريق الصحف والمجلات يفيد بها العالم الإسلامي كله مشرقا ومغربا، ويكون الصداقات مع علماء الإسلام هنا وهناك. ولم تكن الحدود الجغرافية التي اصطنعها الاستعمار الغربي لتحول دون وصول هذه المجلات إلى أبعد المناطق وأكثرها تعرضا للإستعمار الصليبي مثل الجزائر وتونس والمغرب الأقصى. وهو لهذا يعد بحق كما يقول عنه علي الطنطاوي.

«هو أبو الحركة الإسلامية الجديدة في مصر، كان قلمه أول قلم دعا اليها، وكانت مطبعته السلفية أول مطبعة وقفت عليها، وكانت مجلته «الفتح» أول مجلة إسلامية في مصر، كما فعل شكيب أرسلان الذي كان كاتب الإسلام الأول(١).

(١) علي الطنطاوي، طرق الدعوة الى السلام، دار المنارة، جدة، ١٩٩٠، ص ١٠.

ولن ننسى جهود لجنة التأليف والترجمة والنشر وما أخرجته من كنوز، ولا سيما في مجال الكتاب المدرسي، وتقريب التراث من الناشئة. وهي جهود تذكرنا بالجهود الضخمة التي قدمتها وما تزال تقدمها دار المعارف.

وقد تضافرت هذه الجهود بجهود المجامع العلمية العربية في كل من القاهرة، ودمشق، وبغداد، لأنها كانت نوادي رفيعة للثقافة الأصيلة، تجمع بين أحضانها خيرة العلماء والأدباء واللغويين. فكانت مجلاتها المتخصصة خير زاد للمثقف المسلم في هذا المجال.

وقد برز أعلام علماء في مجال تحقيق التراث فلا يكاد يخلو قطر عربي أو إسلامي من متخصص أو متخصصين في تحقيق التراث الإسلامي ونشره والعناية به، وتجيء مصر، وسوريا، والعراق، في الصف الأمامي في هذا التخصص كما ونوعا.

ومن الموضوعية العلمية أن نذكر جهود المستشرقين الذين كان لبعضهم فضل الريادة في تقديم النموذج الأمثل للتحقيق العصري. ونحن حين نذكر جهود المستشرقين في إحياء التراث العربي والإسلامي هنا فإنما ننوه بها لأنها تعد من العوامل الفعالة التي دفعت

المثقفين العرب ليتجهوا إلى هذا السبيل. وكثير منهم تعلم أصول التحقيق وقواعده على هؤلاء المستشرقين، وهذا التنويه لا يبعدنا عن الإعتقاد بأن الأغلبية الساحقة من هؤلاء كانوا ينشرون هذا التراث لأسباب سياسية أو دينية. ومهما يكن من أمر فإن الفضل يعود إليهم في تقديم النموذج العملي للمحققين العرب الذين جاؤوا من بعدهم وليس أدل على ذلك من اعتراف أحد المحققين الأعلام اليوم حيث يقول: -

«وقد ألفينا هؤلاء المستشرقين ينشرون عيونا ثمينة من عيون التراث العربي قبل أن تظهر هنا في الشرق العربي بعشرات السنين، في أمانة علمية دقيقة اقتبسوها من أسلافنا، مقرونة بعناية خاصة بالفهارس الفنية، وهذا كان شأن جمهور أسلافنا أيضا، فكتب الرجال عندنا تنال ترتيبا فهرسيا ممتازاً مقرونا بالإحالات الذكية، كما أن مقابلة المخطوطات ومقارنتها ميزة عربية سباقة، عرفها آباؤنا الأولون(١)...

وإذا كان لنا من تعليق على هذا النص فهو ما يعبر عنه من فضيلة الإعتراف التي هي في حد ذاتها شهادة من هذا المحقق الرائد

(١) هارون، قطوف.. ص، ٦٨.

عبدالسلام هارون.. وفضيلة التفتح على كنوز المعرفة الانسانية من هؤلاء المستشرقين الذين استفادوا من التراث العربي الإسلامي مما ينبغي أن يتحلى به المتعلمون والمحققون منهم بخاصة.

ويكفي أن نعلم نحن أن التفتح على المعرفة الانسانية هو الطريق الصحيح للوصول الى تحقيق غايات بعيدة في الكشوف العلمية، والإطلاع على المعارف الانسانية أما التقوقع على الذات، والجمود على الطرق والأساليب القديمة، فإنه يشل الفكر، ويبلد الذهن، ويلغي الشخصية.

يقول المحقق الكبير عبدالسلام هارون، مشيدا بجهود مطبعة بولاق.

ولست أدري ماذا يكون الوضع لو لم تبكر هذه المطبعة بنشر تلك الكتب وإذاعتها، إذن لتغير وجه الثقافة العربية المعاصرة التي لا تزال مهتزة إزاء لطمات الاستعمار المتوالية، وإزاء الدس الثقافي الذي لا يزال طائفة من أبناء أمتنا العربية في دوار من بريقه الكاذب(١)».

(١) المصدر السابق، ص ٣٨.

أهمية التراث عند القدامى

الواقع إن الاهتمام بالتراث وجمعه وتدوينه يعود الى القرن الثاني الهجري، يتمثل ذلك في هذه العناية الفائقة التي أولاها الأوائل للحفاظ على القرآن الكريم وما يخدمه من علوم أخرى، مما يجعلنا نقول: إن أول حركة علمية في هذا الصدد تمثلت في جمع كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، علما بأن الله قد أحاط كتابه بعنايته حيث يقول ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وأسوة بجمع القرآن كما وقع في عهد سيدنا عثمان بن عفان، تتابعت محاولات الجمع هذه في بقية العلوم الأخرى كالحديث، والشعر، واللغة، وغيرها. وعندما توسعت هذه الحركة حاول المؤلفون أن يؤرخوا لهذه الحركة، فصنفوا كتب الطبقات المتنوعة المشارب، المختلفة المقاصد، فأرخوا للعلماء والأدباء والشعراء، والفقهاء، ورواة الحديث، كل يتبع في ذلك المنهاج الذي يراه صالحا، مناهج زمنية، أو مكانية، أو موضوعية. وبذل في هذا السبيل جهد كبير، وفتح على الباحثين والدارسين آفاقاً واسعة من المعرفة.

ولعل أقدم كتاب وصل إلينا من كتب الطبقات هو كتاب أهل

العلم والجهل. لواصل بن عطاء سنة (١٣١ هـ) وواصل بن عطاء هو مؤسس طائفة المعتزلة كما هو معروف.

كما صنف المؤلفون كتباً أخرى في تصنيف العلوم وفهرسة كتبها، ولعل أقدم محاولة لهذا النوع من التأليف تلك التي قام بها الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠ هـ) في كتابيه «كتاب في أقسام العلم الإنسي»، وكتاب، «في ماهية العلم واصنافه، كما ألف أبو زيد سهل البلخي (ت ٣٢٢) كتابا بعنوان «كتاب في أقسام العلوم» غير أن هذه الجهود المبكرة لم تصل إلينا للأسف الشديد، وإنما ذكرها المؤرخون في تصانيفهم وفهارسهم. وهناك كتب عربية أخرى قد يهم القارىء الكريم معرفتها تعرفها الساحة الثقافية اليوم وهي :

إحصاء العلوم للفارابي المتوفي ٣٩٧ هـ

مفاتيح العلوم للخوارزمي المتوفى ٣٨٦ هـ

رسائل إخوان الصفاء حوالي منتصف القرن الرابع الهجري.

الفهرست لابن النديم ألفه حوالي سنة ٣٧٧ هـ

رسالة في مراتب العلوم لابن حزم الأندلسي المتوفى ٤٥٦ هـ

فهرست إبن خير الأشبيلي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ

وظهرت بعد الفهرست الذي حاز شهرة واسعة مؤلفات كثيرة تنهج منهاجه وتسير على طريقته. وقد ظهرت على فترات زمنية متباعدة، وكان هذا التباعد من حسن حظ الثقافة العربية إذ كان ذلك يسمح لكل كاتب لاحق ان يؤرخ لما سبقه من تراث فكري، فيحفظ من الضياع والتلاشي، ويبقى العنوان حتى وإن ضاع الأثر نفسه، حتى إن المرء ليلحظ أنه لم تخل فترة زمنية من موسوعة علمية اشتهرت وذاعت بين الناس ولعل من المفيد أن نذكر أسماء بعض الكتب المتخصصة في هذا الفن مما يحرص الدارسون على اقتنائه والرجوع اليه من حين الى آخر في أبحاثهم ودراساتهم.

من ذلك : ـ معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٩هـ

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري المتوفي سنة ٧٣٣ هـ

ـ حياة الحيوان الكبرى للدميرى.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥. وعندما انتقلت أغلب الذخائر العربية الى الآستانة في العصر التركي وازدانت بها مكتباتها، كان ذلك حافزاً على وضع فهرس يضم هذا التراث القيم فظهر كتاب ما يزال مشهورا في عالم الفهارس اليوم وهو كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ

إن هذا التراث القيم في شتى فنون المعارف الإنسانية ضاع منه الكثير قياساً لما جاء في كتب الفهارس، فقد تشتت شمله، وتفرق جمعه، وتلف بعضه على يد الحملات العدوانية التي تعرضت لها البلاد الإسلامية عبر تاريخها. وكانت بعض الحملات تستهدف هذا التراث لذاته، وتتخذ من القضاء عليه إحراقاً وإتلافاً هدفا من أهداف عدوانها على البلاد الإسلامية. فإن الحملات الصليبية التي أغارت على العالم الاسلامي فعلت مثل ذلك وأكثر، ولا أحسب ان مثقفا مسلما يجهل أو ينسى ما فعلته حملة (هولاكو) على بغداد بهذا التراث الإسلامي، حتى أن المؤرخين حينما يعبرون عن فظاعته

يذكرون تغير أمواج دجلة والفرات لكثرة ما امتزج بها من مداد ذلك التراث القيم.

ونستطيع أن نقول القول نفسه عن الحملات الصليبية التي تعرضت لها البلاد الإسلامية أكانت تلك الحملات في شكلها القديم أم في شكلها الحديث، وليس أدل على ذلك من هذه الكنوز العظيمة التي انتقلت الى خزائن الدول الاوروبية حتى بات المثقف العربي المسلم يبحث عن تراثه في تلك الخزائن، ويتحمل الباحث العناء المادي والأدبي بحثا عن مخطوط أو وثيقة تاريخية.

لقد حاولت دولة الخلافة أن تجمع بعضا من هذا التراث الضخم في مكتباتها مما سمح بتأليف بعض الموسوعات العلمية التي أشرنا إلى بعضها، ولكن ضعف هذه الدولة ووقوعها فريسة بيد أعدائها، أدى إلى انتقال أغلب هذا التراث الى أوروبا التي اغتنمت فرصة تشتت العالم العربي وسباته عن تراثه، فراحت تجمعه من كل أنحاء العالم العربي.

وقد استغل أعداء الإسلام هذا التراث استغلالا علميا ملحوظا وكان ذلك دافعا لنهضة استشراقية في كل أنحاء أوروبا، ومهما كان

دافع البعض إلى الاهتمام بهذا التراث علميا، فإن الأغلبية الساحقة كان من ورائها أغراض استعمارية صليبية حاقدة. وآية ذلك أننا نجد أن الذين كانوا يشدون أزر هذه الحركة هم في الأغلب الأعم من العسكريين ومن رجال التنصير حتى لا أقول المبشرين.

وليس أدل على ما بذل من جهود عظيمة بصرف النظر عن نوايا أصحابها ما تكتظ به أجنحة المخطوطات في أوروبا، حتى إنه لا تكاد تخلو مكتبة عامة في العواصم العالمية الكبرى من كنوز المعرفة الإسلامية وإن بعضها ليتجاوز الألف والألفي مجلد.

لقد شعر المستشرقون بأهمية هذا التراث فالتفتوا إليه بجمعه وإحيائه وتقديمه إلينا محققا مدروسا، سهل التناول، فكانت خطوتهم الأولى في هذا الصدد هو حصر هذا التراث بوضع فهارس وموسوعات له منظمة تنظيما علميا قيما، ويذكر المؤرخون أحد الرواد في هذا الاختصاص وهو جوزيف فون هامر برجشتال في كتابه الذي جمع فيه التراث العربي من أوله الى آخر القرن الثاني عشر الهجري، ولكن نظراً لقلة معرفة هذا المؤلف بالعربية فإن هذا الكتاب ينبغي أن يستخدم بحذر.

ولعل من أشهر الكتب التي انتهجت هذا النهج كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، وهو مرجع هام لا يستغني عنه الباحثون على ما فيه من أخطاء ودس، دفعت أحد الباحثين الإسلاميين المعاصرين ليؤلف عنه مؤلفا تحت عنوان كارل بروكلمان في الميزان يبين فيه الأبعاد والأهداف لهذا المؤلف من خلال بعض الأمثلة المستخلصة من هذا الكتاب.

لقد حدا هذا التوجه من المستشرقين ببعض المؤلفين المسلمين إلى اقتحام هذا الميدان والإهتمام به والتأليف فيه فظهرت فهارس علمية تحاول حصر هذا التراث، نذكر من بينها، معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس.

ولعل من أشهرها في عصرناالحاضر تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، ونحسبه أهم كتاب في هذا الموضوع ظهر حتى يوم الناس هذا، فهو مؤلف ذي مجلدات كبيرة تشتمل على تراث ضخم غزير، وقد بذل المؤلف في جمع مادته حتى الآن ما يزيد على أربعين سنة من العمل المتواصل، لذا يعد عمله مواكبة جادة للتراث الاسلامي في كل مناحيه. ولعله بمنهجه وتطبيقه العلمي الدقيق يعد حسب ما نعلم آخر مرحلة يتوصل اليها في تصنيف العلوم العربية وطبعات

مؤلفيها، وهو يضم بين دفتيه أشتات هذا التراث المخطوط في كل مكتبات العالم التي اطلع المؤلف على فهارسها وقوائم كتبها، وقد بذل في سبيل ذلك جهداً ضخماً ومالاً كثيراً.

وتمتاز هذه الموسوعة عن كتاب بروكلمان الآنف الذكر بأن المؤلف راجع مواده وأصلح ما فيها من أخطاء النساخ، وأضاف إليها معلومات جديدة مكملة، مثل تاريخ المخطوطة، وعدد أوراقها، وعدد أجزائها، كما يعرف بمحتوياتها أحيانا اذا كان اسمها غامضا، وهو - إضافة الى تلك الامتيازات المذكورة آنفا - يشتمل على المخطوطات التي ذكرها بروكلمان فيذكرها أولاً ثم يشير اليها بعلامة خاصة ويتبعها بالمخطوطات الجديدة التي جمعها من الفهارس والقوائم التي ظهرت بعد بروكلمان.

رغم هذا الجهد المبذول فإن هذا لا يصل بنا الى حد القول بأنه عمل يشتمل على كل التراث الاسلامي بطبيعة الحال، لأن هذا منال يصعب تحقيقه، ويبقى طابع الشمولية نسبياً على كل حال، فهناك خزائن هامة في أنحاء الوطن العربي لم تصل اليها عناية الباحثين حتى يضعوا لها الفهارس العلمية ففي الجزائر والمغرب مثلا، خزائن ما تزال في حاجة إلى فهرسة وهي لعمري تحتوي على مخطوطات قيمة،

وبدون الفهرسة لا يمكن للمثقف العربي أن يلم بمحتوياتها أو أن يصل إلى مصادرها.

ومن هنا فإن العناية ينبغي أن تكون كبيرة تتضافر عليها جهود الباحثين والدارسين من كافة انحاء العالم الاسلامي، وهذه خطوة أساسية لا بد منها، وقاعدة انطلاق لا بد من بنائها، ولو كلف ذلك جهدا ووقتا ومالا.

التراث الإسلامي والإستعمار الغربي

إن الغرب الصليبي كان وما يزال يتعامل مع تراثنا بحسه الإستعماري المبني على المصلحة الآنية والمنفعة المادية، فهو يشجع المستشرقين من أبنائه وغيرهم بكل المساعدات الممكنة، ويوفر لهم مجالات العمل من جهة. ولكنه من جهة أخرى يهرب هذه الكنوز والآثار الى مكتباته، وهو اعتراف ضمني لا يمكن أن يتجاهله بقيمة هذا التراث الفكري العظيم الذي أنار له درب المدنية والحضارة. ونحن لا نقول هذا اتهاما أو إجحافا، بل إن الواقع التاريخي في صراعنا الطويل معه ليؤكد هذا ويدعمه. ولنأخذ مثلاً من سلوكه مع التراث الإسلامي في المغرب الكبير ففي الجزائر مثلاً ظل يعامل التراث الفكري الإسلامي معاملة العداء والاستكبار، يبدد المخطوطات أو يحرقها إغاظة وانتقاما. ففي معارك الأمير عبدالقادر الجزائري الذي كان يعتبر التراث الاسلامي سلاحا من الأسلحة مع الكفار، يعترف الفرنسيون أنهم كانوا اثناء مطارداتهم للأمير يستدلون على مكانه مما كان يتناثر أثناء المعارك من أوراق المخطوطات.

وعندما رأى المستعمرون من أبناء (الكولون) بأن استقلال الجزائر بات وشيكا لجأوا في وسائلهم الانتقامية الى حرق جانب كبير

من مكتبة جامعة الجزائر، وأتى على جانب هام من الكتب القيمة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنهم هربوا إلى مكتباتهم الخاصة والعامة مخطوطات نفيسة لا تقدر بثمن، ولا أدل على ذلك من أن جانباً منها يوجد حتى الآن بالمكتبة الوطنية بباريس، وإن الدوريات الجزائرية التي كانت تصدر في فترة الإحتلال هربت كلها الى مكتبة (فرساي) قرب باريس وما تزال تحمل طابع ولاية الجزائر، وطابع ولاية قسنطينة شاهدة على الذين اختلسوها باللصوصية وخراب الذمة.

كما نجد العديد من تراث أهل الدعوة في مكتبات ألمانيا وبولونيا هرب من وادي ميزاب في حين غفلة من أهله. وإن فيها بعض المخطوطات النادرة التي لا وجود لها حتى بمكتبات وادي ميزاب نفسه. ولولا ضيق المجال لسقنا شواهد كثيرة عن وقائع مماثلة من العالم العربي والاسلامي..

إن الاحتلال الفرنسي للمغرب الكبير أخر عملية نشر التراث بأقطاره سنين طويلة، ولعل نهضته الحقيقية لم تبدأ الا في العقدين الأخيرين مع النهضة الثقافية، وانتشار الوعي الإسلامي بها، على أن هذه النهضة ظلت متفاوتة بين تلك الأقطار تتراوح نشاطا واهتماماً،

فهي في تونس أقوى منها في المغرب الأقصى، وهي في المغرب الأقصى أقوى منها في الجزائر.

إن ما تزخر به خزائن المكتبات هناك من تراث نفيس لتهيب بحكومات هذه الأقطار بأن تبذل جهوداً أكبر، وتوجه عناية أفضل لإخراج تلك الكنوز إلى النور لأنها من حق المسلمين جميعا وليست من حق مؤسسة أو حاكم معين حتى ولو كانت تلك الخزائن باسمه. لأن موقف الاسلام واضح من أولئك الذين يكتمون العلم أو يمنعونه عن الناس.

التراث الاسلامي المخطوط في الجزائر

اعتنت المكتبة الجزائرية منذ أقدم العصور بالمخطوطات العربية، فجزء منها حفظته فهارس المكتبات العامة. وجزء آخر حفظته لنا المكتبات الخاصة التي قام على جمع مخطوطاتها العلماء والمهتمون بهذا الجانب الذي كانوا ينظرون إليه على أنه جزء لا يتجزأ من شخصيتهم التي ما فتىء الاستعمار يعمل على طمسها، ومن هنا كان الإهتمام دافعه علميا أحيانا ودافعه حضاريا أحيانا أخرى. ومن أشهر المكتبات الخاصة مكتبة الشيخ ابن الفكون في قسنطينه، ومكتبة زاوية الهامل قرب بوسعادة ومكتبة زاوية طولقة، وزاوية مستغانم، وزاوية ملیانه وزاوية أدرار، ومساجد وادي ميزاب نذكر من بينها مكتبة الشيخ أطفيش، ببني بزقن. ومكتبة الشيخ بلحاج، بالقرارة. ومكتبة باعمارة، بمليكة.

وكانت في تلمسان عدة مكتبات عائلية كمكتبة الشيخ أبي طالب والقاضي شعيب. وقد حافظت العائلات الجزائرية التي عرف أسلافها بالعلم على ما خلفه الأوائل من تراث عبر القرون.

ومن المكتبات الخاصة المشهورة في القطر الجزائري مكتبة الأمير

عبدالقادر الجزائري، وكانت تحتوي على كثير من ذخائر المخطوطات العربية، وقد لازمته مكتبة الكبيرة في تنقلاته إبان مقاومته للاستعمار الفرنسي، ومن المؤسف أن جل مخطوطات هذه المكتبة ضاعت أثناء هذه المقاومة. وقد تأثر الأمير لذلك ولم يتسل عن فقدها زمنا طويلا. وقد روى شاهد من عساكر الفرنسيين أنه كان من الممكن اقتفاء آثار جيش الأمير العائد من منزل الزمالة لأن اوراق كتبه كانت منتشرة في كل أرض مرت بها العساكر.

وعرفت مكتبة الشيخ الحداد نفس المصير فقد استولى عليها الفرنسيون بعد ثورة ١٨٧١، وقد صودرت بعض كتب هذه الخزانة وضم بعضها الآخر الى قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

وتضم المكتبات العالمية مخطوطات ووثائق ألفها علماء جزائريون كتلك الموجودة في مكتبات استطنبول. وقد نقلت هذه المجموعات إبان الحكم العثماني. ومن الدول الغربية نذكر مكتبات إيطاليا، وأسبانيا، وهولندا، وبولونيا، كما نقل كثير من الجزائريين مخطوطاتهم معهم أثناء هجرتهم الى كل من المغرب وتونس وخاصة بعد الاحتلال الفرنسي. وهو ما يفسر وجود مخطوطة من عائلة المشرقي المعسكرية بمكتبات المغرب على أن الكثرة الغالبة من المخطوطات الجزائرية إنما

نقلت الى فرنسا عنوة بعد مصادرتها ابتداء من سنة ١٨٣٠ والذي يرجع الى بعض الفهارس التي قام بها فرنسيون للمكتبة الوطنية يجد أرقاما وأسماء لمخطوطات ضاعت من المكتبة فقد ذكر من بين الوثائق الضائعة نحو ٢٠٠ مجلد من بينها سجلات الدايات والمئات من العقود والرسائل والوثائق الإدارية، وكما حدث الإعتداء على المكتبة الوطنية حدث أيضا على مكتبة الجامعة الجزائرية. سنة ١٩٦٢. قبيل الاستقلال.

وذكر بعض الدارسين والعاملين في هذا الميدان أن أغلب المخطوطات لم تحرق كما حدث هذا لمكتبة الجامعة وإنما هربت بعد الإستقلال، وما يزال الكثير منها يحمل ختم المكتبة.

وقد اتخذ هذا السطو أحيانا صبغة رسمية كما وقع لكتاب العبر لابن خلدون الذي يقال إنه نقل من المكتبة الجزائرية إلى المكتبة الأهلية بباريس بأمر من نابليون الثالث.

وقد وضع الفرنسيون إداريون وباحثون فهارس لهذه الكنوز ولعل من أهمها فهرس منشور سنة ١٨٩٣ يمكن الرجوع إليه مع غيره من الفهارس في المكتبة الوطنية الجزائرية.

التراث الفكري الإباضي

في خضم هذا الواقع المتذبذب بين العناية وعدم الاهتمام، نتساءل عن واقع تراثنا الفكري الإباضي وعن مكانته، مقيمين خطواته، وأود أن أوضح للقارىء، الكريم ـ بأن إلحاحي على هذا الجانب الخاص من تراثنا الإسلامي لم يأت وليد نزعة تعصبية، أو نظرة مذهبية، لأن الذي دفعني إلى ذلك سببان أحسب القارىء الكريم سيوافقني عليهما.

أولاً: ■ إن ما تركه هذا الفكر من تراث يتميز عن غيره ببعض الخصوصيات: منها ما يتحلى به من ترابط وثيق بين جوانبه فبين علومه ذات الطابع الديني وعلومه ذات الطابع الإجتماعي يلحظ الدارس انسجاما وتوافقا، فالذي يعود الى المؤلفات الإباضية الباحثة في قوانين الري، ونظم البناء مثلاً، يلحظ بوضوح كيف أن النظريات والخبرات مبنية أساسا على الإعتبارات الدينية أولاً وقبل كل شيء.

والمتتبع لتقاليد الأفراح والمناسبات والأعياد في المجتمعات الإباضية يتبين له أن العلاقات الإجتماعية فيها مؤسسة على روح

الشريعة الإسلامية، وهذه الخصيصة تتجسد بصفة خاصة في الأماكن التي استطاعت الجماعات الإباضية أن تكون بها كيانا مستقلاً خاصاً بها، وبعبارة أدق تلك المواطن التي استطاعت أن تغالب مظاهر الذوبان والإنحلال. ولعل هذه الملاحظة لو حاولنا أن نجد لها مثيلاً الآن لوجدناها بارزة في سلطنة عمان، ووادي ميزاب من جنوب الجزائر، أكثر من بروزها في الأماكن الأخرى التي ما زالت بها جماعات إباضية، مثل جربة بتونس، وجبل نفوسة بليبيا، وزنجبار بتانزانيا.

هذه المميزات الحضارية أخذت تستقطب العديد من الأقلام تفرد لها المؤلفات من الكتب، أو التحقيقات من الدوريات، أو الدراسات من الجامعات، ومن المؤسف حقاً أن تكون العناية بهذا التراث من الأجانب أكثر منها من العرب.

ففي المكتبات العالمية اليوم العديد من هذه الدراسات التي قام بها الأوروبيون ولا سيما المستشرقون منهم فرنسيون، وانجليز، وبولونيون، وألمان، وإيطاليون، على اختلاف في الأسباب والدوافع بطبيعة الحال.

يكفي أن نذكر كمثال على هذه العناية الفائقة، البحوث العلمية العميقة التي يقوم بها الباحث البولوني تاديوش لفتسكي الذي يكاد يكون ـ لبحوثه الكثيرة ـ باحثا متخصصا في المذهب الإباضي والجماعات الإباضية عبر العالم، فقد تجاوزت بحوثه العلمية خمسين بحثا.

ولعل الإعجاب بهذا التراث المنسجم، الدال على ذوق حضاري راق هو الذي عبر عنه أحد الكتاب الفرنسيين المشهورين وهو (جان مليا) حيث تحدث عن انطباعه عن حضارة الإباضية بوادي ميزاب فكرا ومعمارا قائلا «إنه النظام الحضاري الذي لا يوجد له مثيل في العالم»(١).

ثانياً: مما يستدعي الإهتمام العاجل بهذا التراث تحقيقا، وطبعا، وجمعا، ودراسة، ما تعرض له هذا التراث عبر مراحله التاريخية من إجحاف وغمط، وتنقيص وتشويه.

ويتجسد هذا المنحى بصفة أخص في الكتب التراثية ذات الطابع التاريخي سواء كانت في علم الكلام والفرق، أم في الشعر والأدب.

(١) ينظر: Jean Melia Ghardaia

وإنه من المؤسف حقا أن تتورط في هذا بعض الدراسات المعدودة اليوم من المصادر الموثوق بمعلوماتها، نذكر منها على سبيل المثال: الفرق بين الفرق للبغدادي، والملل والنحل للشهرستاني، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، وغيرها مما هو معروف متداول.

وقد نلتمس بعض العذر لأولئك المؤرخين الذين كانوا يكتبون مؤلفاتهم تحت ضغط التبعية الفكرية لهذا الحاكم أو ذاك، أو تحت لهفة الحصول على عطاء مادي من هذا الشخص أو ذاك. ولكن ما الذي نلتمسه عذراً عندما تصدر هذه الأحكام عن بعض الفقهاء المتصدرين للفتوى، المتحملين مسؤولية الدعوة الإسلامية.

إن هذه الكتابات تتحمل وزر ما يتعرض له الفكر الإباضي اليوم من فسخ ومسخ، وما يقابل به من إهمال وجحود، وما يلاحق به من بعض الجهات من مطاردة ومصادرة. وإذا كان لنا أن نتسامح مع بعض تلك المواقف المعروفة، في الكتب التراثية القديمة، كما ذكرنا، فإن من الموضوعية أن لا نغض الطرف عن أمثال هذه المواقف حين تصدر عن كتاب محدثين ينتسبون الى مؤسسات علمية محترمة، أو هم ينالون بها شهادات جامعية. والعجيب في الأمر أن بعض هؤلاء لا يكلفون أنفسهم عناء الرجوع الى المصادر الإباضية

فيحكمون على الفكر الإباضي من خلال فكر غير إباضي، ويحملونهم أخطاءً هم بريئون منها، لا لشيء إلا لأنهم يعتمدون أقوال أولئك القدامى الذين أشرنا اليهم، وكأن أقوالهم شهادات قاطعة، أو أن معلوماتهم وثائق مؤكدة، والمفروض في الدراسات الأكاديمية ان تستحضر كل الجوانب التاريخية التي أحاطت بالفكر الإسلامي من ظروف سياسية وفوارق اجتماعية، ومهاترات كلامية، أغلبها دافعه النزاعات العاطفية، والتعصبات القبلية. والإحن المذهبية.

على أننا والحمد لله الذي أنعم علينا، بأنوار المعرفة والصحوة الإسلامية، بدأنا نقرأ من حين الى آخر، ما يثلج الصدر من بعض الباحثين الأكاديمين الذين صفى العلم أذهانهم، فلم يرتضوا عن الحقيقة بديلاً، وسمت الأخلاق الإسلامية بمواقفهم فلم يخضعوا ـ كما خضع القدماء ـ لنزعة سلطوية أو عرقية أو طائفية أو مذهبية.

ولا بأس أن نستشهد هنا بقول أحد الأساتذة الذين توصلوا الى هذه الحقيقة من تلقاء أنفسهم، ولم يتأثروا كما تأثر غيرهم بأقوال السابقين، ومن هؤلاء نذكر الدكتور العراقي فاروق عمر وهو يتحدث عن هذه الظاهرة التي تعد ثغرة في الكتابات التاريخية. ويعدد هذه الفرضيات الخاطئة ولو أخطأ في إقحام الإباضية مع

الخوارج وذلك حيث يقول(١) «يمكننا القول بأنه لا يزال تاريخ الخوارج غير متكامل الصورة سواء من الناحية السياسية أوالعقائدية، ورغم أن البحوث الحديثة قد أضافت إلى معلوماتنا الكثير عن الحركة الخارجية، فان وجهة نظر الخوارج لا تزال غامضة، بدأت تنكشف شيئا فشيئا بالعثور على مخطوطات جديدة أزالت الغموض، وقومت العديد من الفرضيات الخاطئة الشائعة عن الخوارج ومنها: ـ

الفرضية التي تبرز الطبيعة البدوية فقط للخوارج وتؤكد على تخلفهم السياسي، وعدم قدرتهم على إنشاء كيانات سياسية، والواقع فإن الخوارج أنشأوا العديد من الكيانات السياسية في عمان والمغرب.

والفرضية الثانية، التي تدعي انعدام الفكر الفلسفي للخوارج «وأنهم أبعد ما يكونون عن التطور الديني والعلمي والإجتماعي» والواقع فإن كتب الفقه والفرق والتاريخ الخارجية حوت فكرا فلسفيا متطوراً، ولكن هذه الكتب لا تزال مخطوطة ومبعثرة في مكتبات مختلفة.

والفرضية الثالثة: التي تدعي اندثار الحركة الخارجية كحركة

(١) د. فاروق عمر، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت ط ت ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥.

سياسية في نهاية العصر الأموي، والواقع يؤكد عكس ذلك، فقد شهد العصران العباسيان الأول والثاني حركات سياسية خارجية مهمة.

والفرضية الرابعة، التي تدعي بأن الحركة الخارجية ككل لم تترك لنا تراثاً مهما يتعلق بها، والواقع فإن الباحثين كشفوا في الآونة الأخيرة العديد من مصادر التراث الخارجي في مكتبات متفرقة من العالم، وكذلك في عمان ونجد والمغرب(١).

ولعل من أبرز المؤلفات الصادرة حديثا وهي تحمل طرحا جديدا، وفكرا جريئا تلك الدراسة القيمة التي قام بها أحمد سليمان معروف في كتابه الموسوم «قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم».

وكان دافعه الى ذلك ما يشعر به من «أن التاريخ القديم رسم ملامح الخوارج ومنحهم بطاقتهم الشخصية والصق في أعلى تلك البطاقة صورة غير صورتهم وفكرهم بوجوه مستعارة، فتعرضوا بذلك لحملة تشويه وتزوير بلغت حد الإعتداء على شخصيتهم وتاريخهم(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٢) احمد سليمان معروف، قراءة جديدة في مواقف الخوارج.. طلاس، دمشق، ط ١، ١٩٨٨، ص ١٤.

واقع التراث الإباضي

عرف الفكر الإباضي بأئمته وعلمائه الذين حاولوا أن يبنُوا قواعد دولته وعلمائه، وجاهدوا في إرساء أصوله الفكرية، فألفوا في مسائله الفقهية والكلامية، وكتبوا في مسيرته الحضارية والتاريخية، ولكنهم كشأن أية حركة دينية ذات طابع سياسي واجهوا المطاردة والملاحقة من خصومهم منذ ظهور هذا الفكر على الساحة السياسية. وكان هذا الواقع المؤسف من أقوى الأسباب التي جعلت أصحاب هذا الفكر مضطرين الى إخفاء مؤلفاتهم خشية أن يطلع عليها خصومهم فيصادرونها، بل فعلوا ذلك في بعض المراحل من تاريخهم مخافة أن يتعرضوا هم أنفسهم للتعذيب والاضطهاد، على أنه لو قام باحث بإحصاء جميع الكتب التي ألفها أصحاب هذا الفكر ونسبتها المئوية إلى عددهم، ثم فعل مثل ذلك في بقية المذاهب، ثم قارن بين نسب الجميع، لوجد نسبتهم من أعلى النسب إن لم تكن أعلاها، على الرغم من أن الكثير منها ضاع للملاحقة السياسية التي لم تتوقف في أي زمان عن مطاردتهم ومضايقتهم بشتى الأساليب والصور، حتى بلغت في مداها أحيانا حرق الكتب والمكتبات، وفي أحيان كثيرة تكون أصابع الفقهاء المتعصبين وراء أجهزة السلطة... وإلى الآن لا

تـزال أكثـر كتب هـذا الفكـر وأهمهـا مجهـولـة حتى عنـد أصحـابهـا أنفسهم(١).

وبسبب هذا الموقف المتعسف وبسبب الخوف على تلك المعـارف أن تضيع، لجأ العلماء الأوائل إلى إيصال معـارفهم تلك، عن طـريق المشافهة والتلقين بعيدا عن أعين النـاس، كـما فعـل أحـد رواد هـذا الفكر وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة

وكان هذا الواقع المؤلم مصاحبا للمذهب، وتراثـه في كـل من المشرق والمغرب، منذ نشأته في منتصف القرن الثـاني الهجـري الى حين قيـام أول دولة قوية لهم وهي الدولة الـرستميـة. أو بعبـارة أدق نستخـدم فيها مصطلحا طالما استخـدمـه أصحـاب هـذا الفكـر، من مـرحلـة الكتمان الى مرحلة الظهور. ففي ظل الدولـة الـرستميـة التي وفـرت الحماية لحرية الفكر والتعبير لمذهبها الذي اعتنقته ولغيرها من المذاهب والطوائف الأخرى، وبفضل العدالة الإسلامية التي انتهجتها الدولـة الرستمية كطريقـة حكم ازدهـر التـأليف، وكثـرت حلق المـذاكـرة، وشاعت أسواق الجدال والمناظرة، وأنتجت هذه السيـاسـة الـرشيـدة مكتبة (المعصومة) التي أشاد بتراثها المؤرخون، ولكنها والأسف ملء

(١) السيد عبدالحافظ عبدربه، الاباضية مذهب وسلوك ط، القاهرة، ١٩٨٧ ص ٢٨٤.

الجوانح، احترقت اثناء هجوم عبيد الله الشيعي على تاهرت، وكانت شاهدة لأئمة الدولة الرستمية بـالنـزاهـة والعـدل، بقـدر مـا ستبقى شاهدة على أعدائهم الفاطميين على التعصب المقيت، ومعـاداة أنـوار العلم والمعرفة.

وشهد الفكر الإباضي مـرحلـة أخـرى من الإضطهـاد والظلم، وعاد أصحابه مرة أخرى الى مـرحلـة الكتـمان، متسترين بـالشعـاب والمسالك الصحراوية، لائذين بعقيدتهم الى واد غير ذي زرع، وكان ذلك حالهم إلى حين استقرارهم بوادي ميزاب في بداية القرن الخامس الهجري.

وأحب أن اؤكد على أن هذه المرحلة رغم قساوتهـا السيـاسيـة، فإنها لم تعرف نضوبا فكريـا، إذ أن المصـادر الخـاصـة بـدراسـة سير العلماء والمشايخ والأئمة تدل على أن الإباضية كانـوا مثـل غيرهم من المذاهب الأخرى أصحاب عناية بالتأليف، والتحقيق، والتدوين ولا سيما في الشريعة والتاريخ، فالـذي يـرجـع إلى سير أبي زكـريـاء، أو طبقات المشايخ للدرجيني، أو سير الشماخي، أو جـواهـر البرادي، أو ملحق السير لأبي اليقـظـان(١) يتـأكـد من هـذا التراث المعـرفي

(١) تنظر قائمة بالمصادر والمراجع اخر البحث.

الواسع، فمن خلال عناوين المؤلفات يدرك أن الاباضية ألفوا في مختلف العلوم الإنسانية، وأنهم كتبوا في شتى ضروب المعرفة، ولعل بعض البيبلوغرافيات الحديثة مثل تلك التي قام بإعدادها لفتسكي، أوشاخت أو غيرهما من الأوروبيين تساعد على تصور نصيب الإباضية ومكانتهم في هذا المجال.

ولكن الذي يؤسف له حقا هو أن هذا التراث ضاع أكثره إذ جنت عليه الظروف الخارجية، من حروب وملاحقات، وأودى ببعضه الآخر الظروف الإجتماعية والإقتصادية الصعبة التي لم تساعد أهل العلم على الاستقرار النفسي لمتابعة المسيرة، بل إنهم زهدوا في نشر هذا التراث وطبعه.

واقع التراث الإباضي في العصر الحاضر

أحسب أنه من أسبق علمائنا عناية بنشر هذا التراث وإخراجه للناس، ما قام به الشيخ سليمان الباروني والمطبعة البارونية بمصر، وما طبعه القطب الشيخ أطفيش من نفائس وذخائر. هذه المجهودات أخرجت من حيز النسيان تراثا قيما ما زال بعضه الى يومنا هذا في طبعته الحجرية الأولى مثل:

قناطر الخيرات، والنيل وشفاء العليل، وفاء الضمانة، والدليل لأهل العقول، والأزهار الرياضية(١)، وغيرها. كان ذلك قبل الحرب العالمية الاولى. وجاء بعد المطبعة البارونية المرحلة القيمة التي قطعها الشيخ أبو إسحاق اطفيش، الذي كان نفيه من قبل الإستعمار الفرنسي الى القاهرة خيراً وبركة، حيث أخرج هو الآخر ذخائر نفيسة من مؤلفات قطب الأئمة، بطبعة أحسن وإخراج أجود، واليه يعود الفضل في إخراج الأجزاء الأخيرة من شرح النيل، والذهب الخالص، وشامل الأصل والفرع، والوضع وغيرها من المصادر والمراجع الهامة في الفقه والتاريخ. وما نزال حتى اليوم نتدارس بعض هذه الطبعات التي تعود الى الثلاثينيات والأربعينيات.

(١) ينظر، المصادر والمراجع.

وما من شك في أن التعاون الإسلامي بين أبي اسحاق ابراهيم أطفيش وبين صديقه الداعية الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب ـ الذي هو صاحب المطبعة السلفية ـ قد ساعد على إخراج الكثير من هذه الكنوز إخراجاً جيداً، وكان لمجلة المنهاج التي كانت تطبع بهذه المطبعة دور الداعية الذي كان همه الأول وهاجسه الوحيد، إيقاظ المسلمين الى واقعهم المرير تحت وطأة الاحتلال الغربي، وما يتهددهم من غزو فكري، وما يستخدم من وسائل إعلامية حاقدة على رأسها الإرساليات التنصيرية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها كانت ـ أي المنهاج ـ تعرف بالفكر الإسلامي وتراثه وحضارته وتصحح المفاهيم التي علقت بأذهان المسلمين من رواسب عصور التخلف والإنحطاط. وبما أن أبا إسحاق إباضي فإنه لم يأل جهدا في التعريف بهذا المذهب وتراثه وحضارته.

وفي اوائل الستينيات برز الى عالم الفكر الاسلامي كاتبان إباضيان، أحدهما هو الشيخ علي يحيى معمر الليبي النفوسي، وثانيهما هو الشيخ محمد علي دبوز الجزائري الميزابي. واذا اتجه الشيخ محمد علي دبوز الى التاريخ يصحح ما فيه من مواقف ومعلومات خاطئة، في وقفات طويلة عند تاريخ المغرب الكبير قديما وحديثا.

فإن الشيخ علي يحيى معمر اتجه الى تاريخ الإباضية بصفة عامة فأصدر سلسلته الرائعة القيمة، الإباضية في موكب التاريخ، وهي تشتمل على حلقات، كانت الحلقة الأولى عن النشأة التاريخية للإباضية، فالحلقة الثانية والثالثة عن الإباضية في ليبيا فالرابعة عن الإباضية في تونس، ثم الخامسة عن الإباضية في الجزائر.

ولقد كشف بحسه المرهف، وذكائه الوقاد، وورعه الشديد، وحبه العارم لأمته الإسلامية عن كنوز عرفت القارىء المسلم بشخصيات وزعماء وعلماء لم يكن يعرف عنهم شيئا من قبل.

ولكن الكتاب الذي يصب في قناة التوحيد بين المسلمين وجمع كلمتهم هو كتابه الرائد في منهجه وفحواه «الاباضية بين الفرق

الاسلامية» وقد هداه فكره النير، وذهنه الإسلامي الثاقب إلى وضع نظرية يعلي عليها المسلمون المعاصرون بناء وحدتهم، وعبد طريقا يسلكونه الى جمع كلمتهم ولم شملهم، وقد لخص هذه النظرية في المبادىء الثلاثة:

المعرفة، التعارف، الإعتراف.

والشيخ علي يحيى معمر بمؤلفاته القيمة تلك يعد من أهم الدعاة الإسلاميين الداعين الى وحدة المسلمين في هذه العقود الأخيرة.

وأحسب أن أغلب الكتابات التي أخذت تنتشر هنا وهناك عربية أو أجنبية في محاولة منها لإنصاف الإباضية تتخذ كتب الشيخ علي يحيى معمر من مصادرها الاساسية.

أما في المشرق فقد برز سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان فتحمل مسؤولية الدعوة الى التقارب ونبذ الخلاف، وقد وهبه الله صفات أهلته لذلك عن جدارة واستحقاق، فهو عالم راسخ القدم في الشريعة الإسلامية، حباه الله ذاكرة فياضة تسعفه بالأدلة من القرآن والسنة، إلى تواضع جم يحببه من النفوس

ويقربه منها، وهو في سبيل هذه الرسالة ما فتىء مشاركا في المؤتمرات الإسلامية يدعو إلى الله على المنابر، وإذا سمع أو رأى باطلا وتهجما انبرى للرد غير هياب ولا وجل.. يجادل بالتي هي أحسن، ويحاور بالعقل والمنطق والأدلة العقلية والنقلية. وعسى أن يجتهد الناشرون في نشر كتاباته القيمة، ومؤلفاته الهامة فإنها من أهم وسائل التقريب بين المذاهب الإسلامية، وقد وضحت آثار جهوده تلك في منطقة الخليج والمشرق العربي مما سيذخره الله له في صالح الأعمال إن شاء الله.

ولئن سبقني الشيخ معمر الى توضيح أمثال هذه الأخطاء التاريخية، ومناقشاتها، وتحليل ما وراءها من دوافع وظروف غير موضوعية، في كتابه القيم (الاباضية بين الفرق الاسلامية). فلا بأس أن أشير هنا الى بعض ما ورد من أمثال هذه الأخطاء التي تكررت في بعض المؤلفات الجامعية وإن بعضها ليندى له الجبين حقا، لأن الطابع العام الذي يخرج به القارىء البسيط لهذه المؤلفات هو الجهل الفاضح الذي يتميز به أصحابها، وإلا فبم نصف الدكتورة القائلة:

«تلك كانت نبذة سريعة عن أهم فرق الخوارج، وقد انقرضت جميعها الا طائفة من الإباضية تقيم جهة عمان، وفي جزيرة جربة تجاه

تونس وفي جنوبي الجزائر وغرب ليبيا، ثم تقول: والاباضية هي الفرقة الوحيدة المعتدلة من فرق الشيعة، ولم تنشأ الا حديثا(١)».

وتتجرأ على تحريف الواقع التاريخي بحكم جائر عجيب، حيث تقول:

أما تعصبهم لنظرية الإمامة، واعتقادهم بأن شروط الإمامة لم تنطبق على الخلفاء الأمويين ثم العباسيين، وأنهم جائرون ظالمون فهو الذي دفعهم إلى الخروج عليهم، وهذا لعمري تعصب بغيض زاده حدة عدم تثبتهم من أمور دينهم، وافتقارهم إلى من يفقههم فيها، وإلا فما قولهم في قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم..﴾ النساء/ ٥٩.

وبعد خلط وخبط، وتداخل وتحامل، تصدر الدكتورة فتواها قائلة في عبارة ركيكة «والخوارج [ومنهم الإباضية] مع إيمانهم بالله وحرصهم على العبادة إلا أن عبادتهم لا ترضي الله ورسوله، ولا أي مسلم صحيح العقيدة والإيمان، فتطرفهم في أداء العبادة، وتعصبهم

(١) ينظر د. مرفت عزت بالي، نماذج من مذاهب الفرق الاسلامية، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، ط ١٩٩١، ص ٩٩.

الزائد يخرجهم عن الدين الحنيف(١).

وهكذا تصدر الحكم، وتنفض يديها بكل بساطة، وقد قدمت للناس علما، وأصدرت حكما.

والعجيب في الأمر أن الدكتوره ميرفت اعتمدت على اثنين وستين مصدراً عربيا، وسبعة مصادر أجنبية ليس من بينها مصدر إباضي أو (خارجي) واحد. وللدارس ان يعود الى قائمة المصادر بآخر الكتاب ليعرف من عناوينها ومؤلفيها كيف أنها تختار مصادرها وتنتقيها بدقة استجابة لمذهب معين، وهوى متبع.

أليس من بديهيات الموضوعية العلمية أن نحكم على الرأي عودة إلى مصدره الحقيقي، ونطمئن الى النقد والتحليل بعد عرض المبدأ والفكرة وتقييمها.

أليس من أوليات البحث الأكاديمي الرجوع الى مصادر التاريخ المحلي للإباضية أو الخوارج - كما تسميهم - نستخرج منها الوقائع، وندرس فيها المبادىء والأفكار.

لعل هذا الاتجاه المنحرف من بعض الكتاب هو الذي دفع باحثا

(١) م. س، ص، ١١١.

جامعيا شابا هدته بصيرته الإسلامية إلى أن يصحح هذا الخطأ الذي وقع فيه المؤرخون القدامى وبعض المحدثين، فيقرر هذه الحقيقة المؤسفة ويجعلها مدخلا هاما لأطروحته الجامعية وهو ينقد المصادر والمراجع، يقول مهدي طالب هاشم(١):

«رغم أن الدعوة الإباضية كانت من أهم الحركات الخارجية المعارضة للخلافتين الأموية والعباسية إلا أنها لم تلق عناية من الباحثين، مثلما لقيت الحركة الخارجية عموما على يد بعض المؤرخين والباحثين المحدثين.

وقد اقتصرت هذه الدراسات على القرن الأول الهجري بصورة خاصة لسهولة البحث فيها وتيسر مصادرها، في حين ترك الباحثون دراسة الإباضية في الشرق العربي وعمان خاصة فيقول الدكتور فاروق عمر مثلاً.

«لا زال تاريخ عمان، الوسيط والحديث على حد سواء غير مكتوب... فلم يكتب المؤرخون عن هذا التاريخ إلا في النادر وربما كان ذلك يعود الى جملة أسباب نذكر منها: عدم توفر مادة

(١) ينظر، مهدي طالب هاشم، الحركة الاباضية في المشرق العربي، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٨١.

تاريخية او وثائقية كافية»(١).

أمام هذه الظاهرة المؤسفة يهتدي مهدي طالب هاشم الى الطريق السوي معتمدا على نفسه، آخذا إياها على المسلك الوعر والعمل الدؤوب، قائلاً:

«ولهذا كان الجهد كبيرا في الحصول على معلومات تاريخية تكشف لنا تاريخ الدعوة الإباضية في المشرق العربي، خاصة إذا عرفنا أن كتب التاريخ العام لا تشير الا إلى الحركات المشهورة التي تشكل خطرا على السلطة المركزية كالحركة الإباضية التي شملت حضرموت واليمن وامتدت الى الحجاز في سنة (١٣٠هـ).

كما لاحظنا البلاذري، والطبري، والأزدي، يتكلمون بإسهاب عن حوادث هذه الحركة، ولكن هذه المصادر لا توجد فيها سوى إشارات لا تتعدى أسطرا قليلة عن تاريخ الدعوة الإباضية في أطراف الخليج العربي الشمالية والغربية كالبصرة وعمان فكان لا بد من البحث عن مصادر جديدة لتوضيح الغامض من تاريخ هذه الدعوة، فكانت كتب التاريخ المحلي خير عون لنا في إظهار ما خفي من نشاط

(١) مصدر سابق.

سري وتوضيح المبهم فيما له علاقة ببحثنا (١).

إن المنهج العلمي المعتمد على المصادر الإباضية نفسها هدى الباحث الى أن يصل في سنة ١٩٨١ الى نتيجة معاكسة تماما لما وصلت اليه الدكتوره مرفت في سنة ١٩٩١، والنتائج تبنى على المقدمات كما يقول المناطقة فما هو الحكم الذي توصل اليه؟ يقول في خاتمة البحث:

«اتضح لنا من خلال دراستنا الوثائق التاريخية التي حصلنا عليها أن الدعوة الإباضية نشأت وترعرعت في مدينة البصرة في القرن الأول الهجري، وقد قام بتأسيسها مجموعة من التابعين، وقد برز من هؤلاء الدعاة جابر بن زيد وعبدالله بن إباض، وقاموا بتأسيس النظام السري في الدعوة، أو ما يعرف لدى الإباضية بمرحلة الكتمان وقد دلت هذه المرحلة على نضج سياسي، ويظهر هذا واضحا من خلال الأساليب التي اتبعوها في علاقتهم التنظيمية في الدعوة لمذهبهم. ولم تستطع السلطات المتعاقبة في البصرة أن تضع يدها على هذه المنظمة السرية للدقة والتحفظ الذي أحاط بها الدعاة أنفسهم.

وقد ظهر لنا ان هذه الفرقة كانت على خلاف عقائدي وسياسي

(١) مهدي، الحركة الاباضية، ص ١٦.

مع فرق الخوارج المتطرفة كالأزارقة والنجدات، حيث امتازت هذه الفرقة بمواقفها المعتدلة، فلم تكن تكفر المسلمين المخالفين لهم بالمذهب، واتضح لنا ان هذه الميزة هي إحدى مبررات بقائهم كمذهب اسلامي يمثل استمرار عقائد المحكمة الاولى حتى تاريخنا المعاصر.

. . . وقد ظهر لنا من خلال هذا البحث ـ وخلافا لما كان سائدا لدى الباحثين المستشرقين والعرب ـ أن العلاقة بين الإباضية وعبدالملك بن مروان خاصة، والأمويين بصورة عامة لم تكن علاقة ودية كما ذهب إليه الباحثون، لأن دراستهم لم تحط علما بالعقائد الإباضية، ولعدم اطلاعهم على مصادر إباضية أصيلة(١). .

فالعلة اذا كما اهتدى الى ذلك هذا الباحث الشاب تكمن في كسل الباحثين أو في نزعاتهم التعصبية، أو في اغترارهم بما في الكتب القديمة من معلومات دون تمحيص أو نقد. فإن المعلومات التي ينبغي الإعتماد عليها عند إرادة الحكم على رأي أو موقف أو مذهب لا بد أن تكون مستقاة من المصادر الأصلية أي من النبع ذاته، ولا تكتفي بالجداول التي تكون عادة عرضة للواردين والصادرين.

(١) المصدر السابق ص ٣١٤.

خصائص التراث الفكري العماني

إن المتصفح للتراث الفكري العماني يندهش لهذا الفيض الغزير من الإنتاج الفكري ولا سيما في مجالات العقيدة، والفقه، والأدب فعلى الرغم مما عرفه تاريخ عمان القديم من تقلبات سياسية، فان أهله لم يبخلوا قط على الفكر الإنساني والإسلامي بفيض علومهم الزاخرة تلك.

وآية ذلك هذه المطولات التي تجعل المرء يتساءل عن مواهب أولئك المؤلفين، وجدهم، واجتهادهم، واخلاصهم للعلم وتفانيهم في خدمته. أي انقطاع للعلم هذا الذي يسمح لأحدهم أن يؤلف قاموسا في الشريعة يبلغ تسعين جزءاً، أو ينظم أرجوزة تجاوز خمسة آلاف بيتا؟. وهو لا يفعل ذلك بوحي العاطفة التي لا يقيدها قيد، وإنما هو يكتب في إطار معين، وموضوع محدد.

والحق إن الإعجاب بغزارة التراث الفكري العماني يزداد مع الأيام قوة، والرغبة من الدارسين في متابعة هذا الفكر لتتضح من وراء ما تطالعنا به المؤلفات المهتمة بتاريخ عمان الثقافي يوما بعد يوم.

إن أهمية هذا التراث وثراءه المعرفي يدفعنا إلى التحدث عن

الجوانب المضيئة في هذا التراث، والوقوف وقفات تأمل واعتبار عند بعض تلك الشخصيات العلمية الفذة التي تميزت بالإخلاص للعلم وحده، وتفانت في سبيل تدوينه ونشره، وغالبت عوامل الزمن والظروف القاسية منكبة على التأليف والتقييد غير آبهة بما حولها من ضجيج الفتن، ومناوشات الإحن.

وتتنوع المواقف بتنوع التخصصات فهذا عالم ضليع في اللغة والآداب، وذلك فقيه لا يشق له غبار في التشريع والفتيا، إلى آخر يبهرك بدقة فهمه في مجال أصول الفقه إلى آخرين يجمعون من كل علم بطرف حتى إنك عند ما تقرأ لهم في هذا الميدان تجزم إنهم متخصصون فيه، ولكنك ما تلبث أن تغير رأيك لأنك تجدهم أضلع وأعزر في تخصص آخر.

ويكفي شاهداً على ما نزعم أن نتذكر الأقطاب الذين يفتخر بهم الفكر الاسلامي بل الفكر الانساني لما وهبهم الله من عبقرية، وسداد رأي، وعمق علم، من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، هذا العبقري الذي يعد نادرة قلما جاد الزمان بمثله، إذ يكفي أن نقول عنه إنه واضع علم العروض والقوافي في الشعر العربي، ومخترع الشكل للكتابة العربية، ومرسي أسس النحو والصرف، يكفي أن

نذكر هذه الحقائق بإجمال حتى يذهب الفكر الى تفاصيل علمية لا ينتهي الفكر عندها الى حد.

ولنتذكر في هذا المجال عالما لغويا آخر تجاوزت شهرته الآفاق وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد(١) الذي أصبح مضرب المثل في حافظته القوية وذاكرته النادرة، ما زالت تشهد به مؤلفاته اللغوية القيمة مثل الجمهرة، والاشتقاق، والملاحن، وهل ننسى محمد بن يزيد الشهير بالمبرد إمام المدرسة البصرية في النحو، ومؤلف كتاب الكامل في اللغة والأدب الذي يعد عند الأدباء واللغويين منذ القديم من أمهات الكتب. ويعتبر عند المحدثين من أهم المصادر اللغوية الأدبية لا يستغني عنه الباحث في هذين الإختصاصين.

إن الفكر العماني أغنى الإسلام بعلمائه، وقادته، وأدبائه، وتجاوز حدوده الاقليمية لينشر الحق والخير والجمال في مناطق بعيدة عن حدوده الإقليمية براً وبحراً، وما تزال الآثار الباقية في الهند والصين وشرق افريقيا تشهد له بذلك.

هذا الثراء المعرفي الإنساني الضخم يحثنا على الوقوف عند هذا

(١) ينظر، محمد بن الحسن بن دريد، حياة من أجل الأدب لمحمد صالح ناصر، عمان، ١٩٩٢.

التراث وقفة المتأمل، ويتطلب منا استلهام العبرة، وإذا كان ذلك له مجالاته في ميدان التأليف والتعليم، فلا أقل من أن تقف إذا مع هذا التراث وقفات استعراضية ان لم نتعرف منها على الخصائص والقسمات، فلا أقل من أن نتملى في السمات العامة والملامح المميزة.

ولكني أود قبل أن استعرض مميزات هذا التراث أن أقف عند بعض الاشكاليات المتعلقة بهذا الفكر.

إشكاليات دراسة التراث الفكري العماني

أولاً: لعل من أبرز الإشكاليات التي تعترض الباحث في تاريخ الفكر العماني ما يواجهه من صعوبة الوصول إلى جمع المعلومات والتثبت منها والتوثيق لها، لا سيما فيما يتعلق بتاريخ أعلام الفكر، إذ قلما نعثر في التراث العماني على التراجم والسير، ونحن حين نعثر على بعض المعلومات عن شخصية بارزة ما، لا نعثر عليها الا متناثرة هنا وهناك تجمع أطرافها جمعا بعد عناء، ويلم شتاتها بعد جهد.

ويبدو لي أن المهتمين بالتراجم العمانية كانوا قلة، بل لعلهم من الندرة بمكان. وآية ذلك أننا عندما نبحث عن ترجمة عالم عماني لا نجدها إلا في كتب المغاربة من مثل طبقات المشايخ للدرجيني، والسير للشماخي. والجواهر المنتقاة للبرادي وغيرها.

وهذا إن دل على التواصل الحميم الذي كان بين المشرق والمغرب من جهة فإنه يدل على أن هنالك أسبابا جعلت العلماء لا ينصرفون إلى هذا الفن قدر إنصرافهم الى الفقه، واللغة، لأسباب، نفسية وموضوعية.

ولولا ما تركه لنا أمثال الشيخ السالمي، وابن رزيق، وبعض

المؤرخين المعاصرين من أمثال الخصيبي، والسيابي، وعبدالله الطائي، إذا لصعب على المرء أن يتوصل الى معلومة تضيء له السبيل وتساعده على تفسير بعض الأحداث أو تشرح له بعض المواقف.

من هنا يغدو الاهتمام بهذا الجانب أمراً حيويا، وضرورة أساسية لأن علم التراجم أقصد تراجم الرجال يساعد الباحثين على معرفة الجوانب الغامضة من تاريخ الفكر العماني، ويضع أرضية لازمة لكثير من الإختصاصات الأخرى مثل الحديث، والفقه، والأدب، والإجتماع.

ثانيا: إن الفكر العماني لم يتعرض للإهمال في جانبه الفقهي أو الكلامي أو التاريخي وحسب، وإنما تعرض الى ذلك في جانبه الأدبي أيضاً، علما بأن هذا الأدب يعد باعتراف كل الدارسين المحدثين المهتمين بهذا الادب ـ قمة في الصدق والتفاني، ويتميز بخصوصيات إنسانية عالية في مواقفه ورؤاه، يقول الدكتور إحسان عباس: «وعلى ما كانت تشهده العصور السالفة من عصبية مذهبية، وتطاحن عقائدي اهتم بعض الرواة برواية شعر الخوارج، ونال من تقديرهم نصيبا، وهو وإن يكن شعرا جاء عفو الخاطر في أكثر الاحوال، فإنه يتميز بالصدق والإخلاص، كما يتميز بالقوة، وتلك صفات قربته

إلى نفوس الرواة وحببته الى قلوبهم، هو شعر يمثل صورة كبيرة لناحيتين تشغلان النظرية النقدية في جميع الأزمان وهما:

التلازم الكامل ـ أو شبه الكامل ـ بين الفن والعقيدة، والتلازم بين الشعر ونقد الحياة، ومن هاتين الناحيتين يبدو لي أن جمع الشعر الخارجي في نطاق يحمل في ذاته مكافأة على ما يبذل في سبيله من جهد..(١).

هذا التقدير النسبي الذي يشير اليه الدكتور إحسان عباس من الرواة القدامى ـ وهذه الخصائص الرفيعة التي تحتل مرتبة عالية في الأدب الإسلامي لم تغر الباحثين المعاصرين بدراسته والتعمق فيه تأثرا ولا شك بموقف الدارسين القدامى ميلا منهم الى الأسهل والأيسر في البحث. وهو يشير الى ذلك قائلاً:

«منذ أن كتبت الدكتورة سهير القلماوي رسالتها في أدب الخوارج، وتصدى الاستاذ أحمد الشايب للحديث عن أدبهم في كتابه الشعر السياسي في العصر الأموي، لم يكتب فيهم ـ من الزاوية الأدبية ـ شيء آخر ذو بال، ولم يلق شعرهم وأدبهم عناية مجددة،

(١) د. احسان عباس، شعر الخوارج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤، ص ٨.

وربما كان ذلك عائدا إلى أن الأمثلة التي تستمد منها الأحكام النقدية ظلت محدودة في كميتها، أو مبعثرة في مظانها(١).

والواقع إن هذا الرأي الذي يعود الى سنة ١٩٦٢ لم يتغير كثيرا ونحن على مطالع سنة ١٩٩٤، لأن الدراسات التي ظهرت طوال هذه الفترة لم تأت بجديد، أو هي تكتفي بجمع النصوص دون الجرأة على تحليل المضامين تحليلاً موضوعياً، ونقد المواقف والرؤى، ونقد هذه التجربة الشعرية التي تغني ولا شك الأدب الإسلامي وتمده بالقوة والأصالة.

وقد تفطن إلى هذه الظاهرة الشهيد سيد قطب، ولعله من أوائل الباحثين الإسلاميين سبقا إلى التنويه لما لهذا الأدب من خصائص إسلامية رائعة حيث يقول: «وكان معظم الخوارج عربا صرحاء من البادية، وانضم اليهم نفر من الموالي، وقد نبغ فيهم الكثير من الكثير من الشعراء والخطباء عرفوا فصاحة اللسان ونصاعة البيان، وقوة الجنان مع تخير اللفظ وجودة المعنى، وقوة السبك، وبراعة الأسلوب وعمق التأثير، وسلامة المنطق، والبديهة الحاضرة، والجواب المسكت يشترك في ذلك رجالهم ونساؤهم على السواء(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٧.
(٢) محمد صالح ناصر، مكانة الاباضية في الحضارة الاسلامية، الحلقة الاولى، سلطنة عمان، ١٩٩٢، ص ١٤١.

إن الاحتكام الى النظرة المذهبية، حالت في كثير من الأحيان دون الاستمتاع بروائع الأدب الإسلامي بعيدا عن جدال أهل الكلام واختلافات الفقهاء، ونزاعات المؤرخين. ولم تفرق هذه النظرة الضيقة بين مشهور ومغمور، ولا بين أصيل ودخيل.

فالناظر في المصادر التي ترجمت لمحمد بن دريد الأزدي العماني المتوفى سنة ٣٢١ هـ، يجد أن أغلبها مصادر قديمة مثل معجم الأدباء لياقوت، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، والفهرست لابن النديم، ومروج الذهب للمسعودي، والأمالي لأبي على القالي، والمزهر للسيوطي، والموشح للمزرباني، ويلحظ أن أخبار ابن دريد في هذه المصادر شحيحة لم تعطه كل ما يستحق من عناية تساوي منزلته ومكانته العلمية. على أنه يجد في الوقت نفسه، اهتماما لبعض من كانوا تلامذة لابن دريد نفسه مثل الاصفهاني، والقالي، والمزرباني، وغيرهم.

وقد يجد المرء نفسه أمام هذه الظاهرة المحيرة دون جواب مقنع، كما وجد نفسه أكثر من باحث ونحسب أن الذي يفسر هذه الظاهرة تعصب بعض كبار الكتاب العرب في الماضي وانصرافهم عن الادب

الإباضي، باعتباره مما كتبه الخوارج بفئاتهم المختلفة عن وهم وتحامل، فقد لوحظ مثلا تحامل أبي الفرج الإصفهاني صاحب الأغاني عليهم، وهو الذي تتلمذ على ابن دريد فلم يورد سوى نتف قليلة من أخباره وأشعاره، كما وقف هذا الموقف نفسه معاصر لابن دريد وهو ابن قتيبة على شهرته، ويمكن ان نضيف اليهم ابن سلام في كتابه طبقات الشعراء الذي لم يشر الى شيء من أدب الخوارج..!

ثالثا: إذا كان هذا هو الانطباع العام الذي يخرج به دارس هذا التراث في الكتب القديمة، وهو انطباع مؤسف كما لا يخفى، فإن الموقف قد تغير الآن والحمد لله فأصبحت المطابع والمؤسسات العلمية الجامعية تفيدنا من حين الى آخر ببحوث تهتم بهذا التراث في الجانب الفقهي والجانب التاريخي والجانب الأدبي.

ومن الانصاف والموضوعية أن نشيد بجهود بعض الكتاب الجامعيين الذين هداهم حبهم للمعرفة وإخلاصهم للبحث أن يتجاوزوا تلك النظرة المذهبية الضيقة، فتوصلوا بجدهم واجتهادهم الى المصادر ينقبون ويبحثون، لا هم لهم الا الحقيقة. فظهرت كتب وبحوث جادة غيرت كثيرا من الآراء التي كانت من قبل تنقل عن بعض المصادر القديمة على أنها مسلمات لا تقبل النقاش أو

التعقيب(١). وهذا خطأ يتنافى مع العلم نفسه، لأن العلم اكتشاف متجدد، وبحث مستمر، واعتراف بالحق ولو كان مراً.

ومن هنا تتبين لنا مزية الثقافة الجامعية التي لا تخضع لغير الموضوعية العلمية حافزاً ودافعاً، لأن الحقيقة قد يتوصل اليها الباحث النزيه الذي يخلص لعقيدته وأمته، ولا يبعده عنها كونه أردنيا أو سنيغاليا، أو مصريا، أو عراقيا أو تونسيا، أو جزائريا، بل لا يصرفه أن يعلن عنها وينشرها رغم انتمائه الى المذهب المخالف والرأي المضاد.

ولا أحسب ان هذا التضافر من كل انحاء العالم الاسلامي جاء اعتباطا أو صدفة، وإنما هو وليد نزعة إسلامية أكيدة الى التقارب، وإحساساً أخوياً عميقا يسعى الى توحيد مشاعر هذه الأمة وتناسي خلافاتها عملا بقوله تعالى: ـ

﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾. البقرة/ ١٤١.

وأحسب أن الفضل الكبير في هذا التوجه يعود الى المجهودات

(١) نشير مرة اخرى الى كتاب قراءة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم..

الجادة التي أخذ أهل الدعوة يبذلونها في السنين الأخيرة، وعيا منهم بدورهم التارخي إلى توحيد المسلمين، والعمل الدؤوب لجمع كلمتهم. وعلماؤهم المخلصون المتفتحون هم أيضا على وعي بتجاوز ما في كتبهم القديمة من صراعات، واختلافات، ومواقف.

وقد بدأنا نلمس هذا التحول الجاد في العشرينيات في كتابات المرحوم الشيخ أبي اسحاق اطفيش الذي نفاه الاستعمار الفرنسي من الجزائر ومن تونس(١) لنشاطه السياسي الوطني الى مصر فكان ذلك النفي خيرا وبركة.

رابعا: إن ذلك الواقع التاريخي المؤسف الذي أشرنا اليه سابقاً من جهة، والتطور المبارك الذي حصل في مسار الفكر العماني مع بداية النهضة الثقافية في السلطنة في بداية السبعينيات، دفع العلماء والمسؤولين ـ ورجال الفكر والثقافة الى استدراك ما فاتهم في هذا المجال فكان من مشمولات النهضة الثقافية العمل بجد ودأب ووعي وتبصر لنشر التراث الفكري العماني باعتباره لبنة من لبنات النهضة، ولا أدل على ذلك من تخصيص وزارة كاملة تعنى بهذا الجانب وهذا

(١) ينظر، محمد صالح ناصر، الشيخ ابراهيم اطفيش في جهاده الاسلامي. ط ٢، مؤسسة الضامري، عمان، ١٩٩١م.

أمر قلما رأينا له نظيرا في البلاد العربية الأخرى.

وأحسب أنه من حق هذه النهضة علينا أن نثريها بالملاحظات الجادة، ونواكبها بالنقد للحصول على الأجود والأكمل والأتقن، ولا عيب إطلاقا من الاستفادة من التجارب السابقة في الميدان، فننظر في مناهج البحث العلمي، ونطبق نظريات التحقيق عند نشر التراث المخطوط ونستغل الإمكانات المادية والتقنية والفنية المتاحة الى أبعد حد حتى نخرج هذا التراث للناس بكيفية تحببه اليهم وتقربه منهم.

وليسمح لي بأن أتقدم ببعض الملاحظات في هذا المجال بكل تواضع وإخلاص.

(أ) ـ إن الساحة الثقافية تشكو فراغا في هذا المجال التراثي الهام، وهو مجال يتطلب مجندين مخلصين من الأساتذة والطلاب، يرابطون في هذه الواجهة مرابطة جهاد، إذ المتوجهون إلى هذا الاختصاص عادة ما يكونون ندرة قليلة، لأن هذا التوجه يتطلب صفات علمية، ومميزات نفسية ووسائل مادية وأدبية كافية.

فإن تحقيق التراث والكشف عنه يتطلب سعة في الإطلاع،

وتركيزا في المعارف، وتحملا لمشاق البحث، وحدا كافيا من التفرغ، وقبل كل هذه الصفات رغبة وميلا، بل أكاد أقول هوى وعشقا.

ونحن إن نظرنا إلى طبقتنا المثقفة نجدها أصنافا غير مؤهلة التأهيل الكافي لخوض هذا الغمار، فإن اغلب المتعلمين يتجهون الى الميدان التجاري أو الصناعي، مدفوعين بهذا التيار المادي الذي أصبح يلوث حتى الهواء الذي نتنفسه، وهذا التوجه أضعف فيهم حاسة التذوق العلمي، ولذة الكشف المعرفي. كما أن توجه أغلب الطلاب اليوم إلى الإختصاصات التكنولوجية والعلمية وما أشبه، يبعدهم بحكم اختصاصهم عن الميدان منذ البداية. وتوجه المتخرجين في الجامعات إلى الإنهماك بالأعمال الوظيفية والإنشغال بالتدريس، وأحيانا الى المهام الاجتماعية ـ وهي ضرورية ـ حالت كلها دون أن يبقى الوقت الكافي للعكوف على مخطوط، أو التفكير في الجلوس إلى نقد تراث أو تحقيقه.

أما المشايخ الذين نعول عليهم في ميدان نشر التراث الفقهي فأغلبهم بحكم المسؤوليات التي تثقل كواهلهم لا يجدون الوقت الكافي لذلك. إننالا نستطيع ان نحقق ما نصبو اليه ما لم ندعم هذا الميدان أولا، وقبل كل شيء بالطاقة البشرية، ونوفر العناية الكافية

لمساعدة الطلبة الراغبين في ذلك.

(ب): ان الكثير مما طبع أو صور من هذا التراث في حاجة ماسة إلى إعادة نظر لأن بعض ما صور تصويرا دون تصحيح، أو طبع طبعا دون تحقيق، يحتوي على الأخطاء الشكلية، وبعضه على أخطاء علمية، وهي في جملتها قد تجني على قيمة الكتاب وتنقص منه. وبعض الأخطاء كما لا يخفى تشوه النص تشويها تاما، وقد تحرفه عن أصل فكرته الى فكرة مناقضة تماما، إضافة إلى أن إعادة الطبع - كما هو متعارف بين أهل العلم - تقتضي إعادة النظر في الأصل بتصحيحه وتحقيقه، والتعليق عليه، وإثراء هوامشه بالإحالات الى المصادر والمراجع، لا سيما ونحن نعلم أن أغلب تراثنا ألف في ظروف تاريخية خاصة، مما يتطلب منا اليوم تحقيق بعض ما جاء فيه من أفكار ومواقف، ومبالغات، وتحكم الى العاطفة والهوى. حقا إن من قواعد النشر العلمي الحفاظ على الأصل، ولكن التعليق على بعض الأفكار في المقدمة أو الهوامش يثري الكتاب ولا ينقص منه شيئا. أما أن نصور الكتاب كما هو بحروفه المتآكلة، وإخراجه السيء، فمما يجد القارىء معه عنتا كبيرا فيزهد في اقتنائه، بله قراءته.

قد يعترض معترض بأن الكتاب إنما يقتني لأفكاره ومحتواه، لا لشكله ومظهره الخارجي، ذلك حق، لكن الشكل هنا يصبح جزءا مكملا للمضمون، كما أنه لا يمكن بحال أن نغفل الجانب الجمالي في الأشياء كلها لأن الله ركب الإنسان كذلك.

إن الاستعجال والمبادرة الفجة أحيانا تدفع بعض الناس الى طبع كتب لم يبذلوا فيها أي جهد يذكر لا تحقيقا، ولا تعليقا، ولا دراسة، بل ولا تصحيحا للأصل.

وقد رأينا بعض من نشر كتابا في الفقه فلم يكلف نفسه عناء مراجعة ما فيه من المسائل، وان بعضها ليندى لها الجبين حقا، ورأينا كتابا وقد كتب على غلافه تحقيق وتعليق فلان وعندما عدنا الى محتوى الكتاب لم نجد له مقدمة، ولا هامشا، ولا حتى تعريفا بالمؤلف والمؤلف. وتساءلنا أين التحقيق والتعليق اذا؟ فأين الأمانة العلمية؟ وأين نزاهة المقصد؟ وشرف الكلمة من وراء هذه الاعمال؟

إن رأى المحقق أو الناشر أو المعلق، أو المصحح لا بد أن يكون حاضرا في هوامش الكتاب، أو في مقدمته، أو في مدخله، أو في تمهيده. أما السكوت المطلق عن هذه السلبيات فلا تفسر إلا بالرضى

والقبول والإهمال واللامبالاة.

(ج) : ان تراثنا الفقهي والتاريخي بصفة خاصة في حاجة إلى دراسة أكاديمية، وتحقيقات علمية موضوعية تبسط المعلومات للقارىء المعاصر، وتجعله قريبا منها، فإن القارىء المعاصر مهما يكن صبره جميلاً ووقته فسيحا يجد صعوبة بالغة في تحقيق مسألة من بعض المطولات، لأنه أساسا لا يستطيع الإهتداء إلى مكانها إلا بعد مشقة وجهد.

إن القارىء المعاصر الذي أصبحت الحياة تلتهمه بمشاغلها المعقدة يفضل الوصول الى المعلومات من أيسر سبيل وأخصر طريق، فاذا اضطر الى العودة ليحقق مسألة ما في أحد هذه الكتب القديمة وقف أمامه الأسلوب المعقد حائلا، وتعددت الأقوال بين الراجح والمرجوح، وقول فلان ورأي فلان، فيحتار في الوصول إلى خلاصة مركزه أو رأي مقنع يرتضيه أو يوضح الإشكالية أمامه. ولنضرب لذلك مثلا إن (شرح النيل) هو كتاب قيم ومعتمد أساسي في الفقه الإباضي لا شك في ذلك ولا ريب، وقد بذل مؤلفه قطب الائمة الشيخ اطفيش (رحمه الله) غاية جهده ليقدم العلم الغزير في هذه القضية أو تلك، وأظهر تسامحا إسلاميا في تحقيق المسائل قل له نظير

في تلك المرحلة، غير أن الطريقة التي سلكها وهي طريقة القدامى في التأليف لا تساعد القارىء المعاصر المتعود على الأسلوب البسيط، من أن يصل الى مبتغاه سريعا. ومن هنا نتساءل لماذا لا يتوجه بعض علمائنا متكاتفين، جادين، إلى إخراج المعلومات من هذه الكتب إخراجا جديدا، ويصنفونها تصنيفا معاصرا، بأن يحرروا ملخصات مركزة لكل قضية من القضايا الفقهية مقيدين تلك المعلومات بمنهج عصري مرتبة حسب الحروف الهجائية، ويثرونها بالفهارس والمصادر التي تعين الباحثين والدارسين على الوصول إلى محتواها العلمي؟ ولا يخفى ما في هذه الطريقة العلمية من فوائد، بعضها ربح الوقت، وتنظيم المعلومات، وتقريب التراث من الباحثين وتحبيبه اليهم.

وللطريقة نفسها، والغرض عينه يمكن أن يعكف أساتذة متخصصون في التاريخ على كتب السير لجمع معلوماتها واستخراج مادة علمية غزيرة منها، تكون معجما لأعلام الإباضية على غرار المعاجم العلمية المعروفة في التراث الاسلامي. وبهذه الطريقة نحبب التراث لأبنائنا، ونسهل طرق العمل للباحثين والدارسين في حقل الدراسات الإسلامية.

إشكاليات الكتابة عن التراث

أولاً: ينبغي لمن يتصدى للتأليف في التاريخ وقضاياه، المتعلقة به أن يضع في اعتباره المسؤولية العلمية الخطيرة التي يتحملها لأنه لا يكتب عن نفسه أو لنفسه، وإنما هو يكتب عن تاريخ أمة ويكشف عن جزء من الحضارة الإسلامية. ويقدم ذلك لكافة القراء في العالم الاسلامي، وغير الإسلامي وأن مؤلفه هذا سيتخذ في يوم من الأيام مصدرا يعود اليه الدارسون ويستندون إليه في كتاباتهم، ويعتمدونه مرجعا يبنون عليه أحكامهم. وفي ندرة المصادر والمراجع العلمية الهامة عن الجوانب المجهولة من التاريخ الاسلامي، سيضطر كثير من طلاب المعرفة إلى اعتبار تلك المعلومات التي قد يجانبها الصواب أحيانا ـ حقائق لا جدال فيها بحكم أن الذي جاء بها أو انتهى إليها مؤلف يفترض فيه المعرفة والأمانة العلمية. وكثيرا ما رأينا بعض هؤلاء المتسرعين يتسببون في تشويه الحقائق التاريخية، ويزعزعون بعض الأصول التي تعتبر ثابتة لدى بعض الفرق والمذاهب الإسلامية. ففي بعض ما ألف حديثا نجد تضاربا واضحا بين المؤرخين، هذا يثبت عكس ما يذهب اليه ذاك، هذا التناقض في نقل المعلومات أو اثباتها يجعل القارىء العادي متذبذبا، حائرا أبرأي هذ

يأخذ أم برأي ذاك؟

حقا قد يكون اختلاف الرأي دليل ثراء، واتساع أفق، وحرية فكر، ولكن اختلاف الرأي على بعض المسائل الأصولية أو حتى الفرعية إذا كانت لها علاقة بالعقيدة أو بالعبادة أو المعاملات قد تربك الناشئة والعامة وتجعل الناس مختلفين شاكين.

ثانيا: لا بد من اعتماد الطرق الحديثة في إخراج مؤلفاتنا إن كنا نقصد بها إفادة الفكر الاسلامي، وكسب المكانة اللائقة بها في المكتبات العالمية. إن توثيق المعلومات بديهة من بديهيات البحوث المعاصرة، والإحالة الى المصادر والمراجع صفة لازمة لبحث يتسم بالجدية والأصالة، ومع ذلك فإننا نرى كثيرا مما نصدره يفتقد أبسط قواعد التحقيق والتوثيق والتعليق. وأنا متأكد أن بعض المؤلفين لا تعوزهم المقدرة بقدر ما يغلبهم الكسل والرغبة في سرعة إنجاز ما يكتبون، لأن توثيق المعلومات بطريقة علمية قد لا يصبر عليها إلا من أوتي نفساً طويلا وصبرا جميلا.

إن من أهم طرق التأليف إيصال المعلومات إلى القارىء من أيسر السبل وبدون جهد ملحوظ، ومما يحقق هذا الغرض أن يكون

المؤلَّف ـ اذا كان أكاديمياً او مطولاً ـ محتويا على الفهارس التي تيسر الوصول الى مادة الكتاب، عن طريق فهارس الأعلام والقبائل، والفرق، والدوريات، والأحاديث، والشعر، والآيات القرآنية، والأماكن، والبلدان وغيرها مما هو معروف، وبهذا نكسب وقتا ثمينا نصرفه في عمل شيء آخر. فإذا كان طموحنا يرقى إلى أن نقدم مؤلفاتنا الى طلاب المعرفة وناشدي الحقيقة العلمية في كل مكان، فلا بد من تقديم هذه المعلومات وأخذها بالإعتبار، وإلا ظل عملنا مفتقراً إلى الصفة العلمية.

ثالثا: إن من صفات الأسلوب العلمي أن يخلو قدر الإمكان من المبالغات المغرضة، والعاطفة الحادة، فان اعتماد أسلوب السب والشتم والتعريض بالآخرين، وتسفيه الرأي المعارض بطرق استفزازية لا تأتي الا بعكس النتيجة، بل انها تحكم على الكتاب وصاحبه أحكاما لو توقعها أو تخيلها صاحب الكتاب لغير من طريقة عرضه لا محالة.

لقد آن الأوان أن ننقي تراثنا من الأباطيل التي تحتكم إلى العاطفة المذهبية الضيقة فتتورط في مواقف وتصدر أحكاما ضد بعض الشخصيات الإسلامية، وبعضهم من صحابة رسول الله المبشرين

بالجنة، ، والأولى بنا أن نعمل بكلمة الخليفة التقي عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه حيث قال متحدثا عن الفتن التي اشتعل أوارها بين المسلمين: تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا، لأن الحقيقة في قضايا التاريخ تبقى نسبية على كل حال. إننا نعثر من حين الى آخر في بعض مصادرنا العقدية والتاريخية، والفقهية على ما يوحي ببعض ذلك، كما نعثر من حين الى آخر على تطرف في تزكية النفس، ومبالغة في التنزيه مما يتنافى مع تعاليم الإسلام التي علمتنا أن نقول: ﴿ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ النجم/ ٣٢.

إن نظرة الإعجاب المبالغ فيه تطالعنا من حين الى آخر من خلال بعض الكتب الحديثة الخاصة بالتاريخ، وإن بعضها مليء بالمبالغات التي تحتاج الى التثبت والتحقيق، ولا ينبغي أن تذهب بنا الحماسة إلى الحد الذي تطغى فيه على العقل، إذ أن نسبة الكرامة والقداسة الى العلماء والصالحين والأولياء، وإضفاء الصفات الكمالية على كل من هب ودب يمثل تلك الكيفية المبالغ فيها تجعل الباحث النزيه يشك في صحة الكثير منها، وإذا كان عذر المؤلفين القدامى هو أنهم كتبوا هذه المؤلفات في عصور طغت فيها العاطفة على المؤلفات الإسلامية من كل جانب، وشاع فيها الفكر الصوفي، فأي عذر

نلتمسه لكتابنا المعاصرين الذين نفترض فيهم الموضوعية والاعتدال قدر المستطاع.

إن العاطفة والحماسة والاندفاع هي الطابع الغالب على ما كتب في هذه القضايا الحساسة في التراث الإسلامي للأسف الشديد ولا سيما عند الحديث عن المذاهب، ومن ثم فقد درج بعض المؤرخين المعاصرين على تصنيف المؤلفين حين يقصدون إلى الكتابة حول هذه المسائل الى تقسيم مصادرهم إلى مصادر تنتمي الى المذهب ومصادر لا تنتمي اليه، تدقيقا وموضوعية وتعبيرا غير مباشر عن الإحتراس لما لمسوه في بعض هذه المؤلفات من الاندفاع والمبالغة أحيانا.

حقاً قد لا يخلو أي كتاب من هوى وعاطفة وموقف، وذلك أمر ضروري، ولكن على المؤلف أن يقدم ذلك بطريقة لا تنفر عنه الناس، ممن يفترض فيهم اختلاف في الرأي، أو المذهب، أو الفكرة. فإننا لا نكتب لتبقى كتبنا في دائرة خاصة، أو في مكتبات مغلقة، وإلا فقد التأليف أهم صفة من صفاته وهي التبليغ الى الآخرين، وفقد المؤلف أهم ما يهدف اليه وهو الإقناع والتأثير.

رابعا: يلاحظ في السنوات الأخيرة ظهور بعض الأقلام الشابة

التي دفعها طموحها وحماسها إلى البروز في ميدان التأليف، وهذه ظاهرة صحية تبشر بخير كثير، وتبعث على التفاؤل والاستبشار، لأنها ستساعد على خروجنا من دائرة العزلة الثقافية التي نعانيها، وتزيل عنا قليلا من الحيف والإهمال الذي ما فتىء يلاحقنا، ولكن لهذه الظاهرة سلبيات ينبغي معالجتها بجرأة وموضوعية، فعلى الرغم من أن الاندفاع في هذا الطريق الصعب وليد طموح مشكور، فإنه كثيرا ما أساء الى المؤلف وهو في بداية الطريق، وهذا يعود فيما أحسب الى أمرين اثنين:

أولهما: توجه بعض المؤلفين الشباب إلى الكتابة في موضوعات ليسوا فيها ذوي اختصاص، وإنما هم قرأوا في هذا الفن أو ذاك كتابا أو كتبا فخيل إليهم أنه باستطاعتهم أن ينسجوا على ذلك المنوال دون أن يكون لهم زاد علمي كاف.

ثانيهما: إن بعض هؤلاء الشباب تنقصهم التجربة في ميدان التأليف بل الكتابة، فالتأليف ينبغي أن يسبق بمران طويل على الكتابة، فالذي يجرؤ على تأليف كتاب وتقديمه للناس، يفترض فيه مران طويل في كتابة المقالات، والبحوث، والدراسات في ميدان اختصاصه، والا تعرض لمؤاخذة القراء له وهم في العادة لا يرحمون،

وقد قيل قديما: «من ألف فقد استهدف».

قد يعترض معترض فيقول: اننا نعيش قحطا فكريا، وفراغا ثقافيا فلا بأس اذا من تشجيع هذه البواكير، ولو كانت فجة فبعد الفجاجة يأتي النضج، وقبل الثمرة يولد البرعم. هذا حق وصواب ولكن الى حدّ، فإن مثل هذه التشجيعات المادية والأدبية بترويج الكتاب في السوق، أو بالثناء على صاحبه بالشكر والتقدير كثيرا ما أوحى الى صاحبه بمشاعر نفسية قد تجني عليه أكثر مما تشجعه، إذ يخيل اليه من خلال ما يتلقاه من تشجيع مادي أو أدبي بأنه عالم حقا، وأنه مؤلف قدير عن جدارة، وهذا الشعور بالذات هو الذي يقعد به عند الخطوة الأولى، فلا يزداد بفضل غروره علما، ولا يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب والإستفادة من ملاحظات غيره ممن هم أقدم تجربة، وأرسخ قدما في هذا المجال.

إن التأليف مسؤولية عظيمة ولا سيما حين يكون الأمر متعلقا بالكتابة في التاريخ، وفي الاجتماع، أو في الفقه، والذي يستقي هذه المعلومات عن هذه الكتب قد لا يتفطن الى أن صاحب الكتاب مبتدىء في الميدان، وبالتالي يأخذ المعلومات على أنها مسلمات، علما أن من بديهيات البحث العلمي ما يعرف بنقد المصادر.

خامساً: إن من أهم ما يجب أن يعنى به المؤلف هو اختيار مصادره وانتقاؤها، والإلمام الكافي بأصحابها، ومدارسهم واتجاهاتهم العقدية والاجتماعية والسياسية.

والمصادر التي نعتمدها حين دراستنا للفكر الإباضي تتنوع غالبا إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ مصادر إباضية باللغة العربية والأجنبية مؤلفوها إباضية.

٢ ـ مصادر باللغة العربية مؤلفوها من غير الإباضية.

٣ ـ مصادر أجنبية هي في الاغلب الأعم لمؤلفين غير إباضية، بل هم غير مسلمين، من مستشرقين، ومنصرين، واستعماريين، وغيرهم.

ومن خلال ما يؤلف حديثا رأينا أن الكثير من الدس والتشويه والتنقيص والاتهام، إنما يعود إلى عدم التدقيق في انتقاء هذه المصادر، فكثيرا ما نلحظ الخلط بين مبادىء الإباضية، ومبادىء الخوارج، وكثيرا ما نقرأ هنا وهناك إلصاق بعض الصفات بالإباضية، توحي بعداوة مستحكمة للمسلمين من مخالفيهم، وبعض هذه الافتراءات يشيعها بعض الأعداء الحاقدين على الاسلام. وهذا يجي عادة بناء

على جهل فاضح، وأحيانا بناء على دس جارح. والدارس الذي يعود الى كتاب المقالات والمؤرخين القدامى بصفة خاصة، يقرأ في هذا السبيل عجبا، فإن بعض هذه المؤلفات مليء بالاتهامات الباطلة، على أنها تعد الى حد الساعة عند الكثير من الكتاب المعاصرين مصادر أمينة موثوق بعلم أصحابها ونزهاتهم. ولكي أمثل ولا أفصل فإني أحيل الى ما كتبه ابن حزم الظاهري في كتابه ـ الفصل بين الملل والنحل ومدونة سحنون في الفقه والمعيار المعرب للونشريسي وغيرهم.

والأغرب في هذا الصدد أن يصدر ذلك في شكل فتاوى دينية عن هيئات رسمية في بعض الدول العربية المدعية الريادة الإسلامية(١). وإن المرء ليتساءل عن التناقض المريع بين ادعاءات حكام تلك البلاد في السعي إلى وحدة المسلمين وسماحهم بصدور تلك الفتاوى المفتنة عن أعلى الهيئات الدينية في بلادهم.

واذا انعدم الوعي الديني عند أولئك المشايخ المتعصبين الحاقدين، فكيف ينعدم الوعي السياسي عند اولئك القادة المتربعين

(١) ينظر، فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، المجلد الثاني، دار عالم الكتب.. الرياض، ١٩٩١.

على عروش الحكم؟

ألا يحق لنا أن نتساءل عن مصداقية إيمان هؤلاء الفقهاء الذين يستغلون مناصبهم ومنابرهم لإذكاء الفرقة والخصام بين المسلمين، وكأنهم غير مكتفين بما يشنه الغرب من حروب علنية وخفية لتمزيقهم وتشتيت شملهم؟

إن من الوسائل التي يجندها الغرب الصليبي في هذا الصدد أقلاما مأجورة بعضها من أدعياء الاسلام، وبعضها الآخر ممن نطلق عليهم المستشرقين. ولا بأس أن أحيل القارىء الكريم هنا الى بعض نماذج هذه الكتابات المغرضة من ذلك.

ما كتبه (الفرد بل) في كتابه ـ الفرق الاسلامية في شمال افريقيا كنموذج لهذا الخلط والتشويه، وكتاب ـ الخوارج في العصر الأموي لنايف معروف وبمعرفة المصادر نتفادى كل هذه الأخطاء المقصودة وغير المقصودة، ونضع بين أيدي الدارسين ما يعتمدونه مصدرا يعودون اليه في دراساتهم وأبحاثهم، وحبذا لو نعمل على طبع قائمة هذه الكتب نسميها القائمة المشبوهة. وينبغي أن نزيل تقليدا شاع في الأذهان وهو الإحتفاء المبالغ فيه أحيانا بما تكتبه عنا الأقلام الأجنبية

الأوروبية، وليسمح لي بالقول أن أغلب ما كتبه المستشرقون مدسوس، وبعضه مشوب بنزعة صهيونية، أو بنزعة مسيحية لاتينية فإنهم لا يكتبون عن التراث الإسلامي إحقاقا لحق، أو دفاعا عن مظلوم، بل هم يكتبون لأغراض سياسية أو دينية محض، ينزعون في أغلبها الى بث التفرقة والخلاف بين المسلمين، وزرع الشقاق والكراهة بينهم بطرق وأساليب هم بارعون كل البراعة فيها. فكثيرا ما قدموا معلومات بطريقة يحسبها القارىء العادي نزيهة سليمة، ولكنه بعد التمحيص والتدقيق، ومراجعة الجملة بربطها بما سبقها أو بما لحقها يكشف ما يعكس هذه المغالطات التي أشرنا إليها.

ومن هنا ينبغي التأكد من سلامة نية المؤلف، وهذه الملاحظة لا تعم كل الذين ألفوا عن التراث الاسلامي من غير المسلمين بطبيعة الحال، فهناك كتاب باحثون بذلوا جهدا لا تقدره الكلمات، ودارسون تحلوا بالنزاهة والإنصاف إلى حد يبعث على التقدير، وتلك صفات لا يتحلى بها إلا من كان همه من وراء التأليف استقصاء البحث عن الحقيقة العلمية المجردة، خدمة للعلم، واثراء للمعرفة الإنسانية، وقد سبقت الإشارة إلى بعضهم في غير هذا المكان.

خاتمة:

وبعد، فهذه خواطر وملاحظات أقدمها الى الدارسين المسلمين بصفة خاصة راجيا ان تسهم ولو بجزء ضئيل في إلقاء بعض الضوء على هذا الموضوع الهام، وتعين النخبة المثقفة من أبناء الإسلام على مد جسور المحبة والتعاون على أساس حسن الظن في الأخوة الإسلامية كما أمرنا بذلك نبينا الأعظم.

فإن الأمة عندما تعود إلى تراثها الحضاري إنما تعود إليه لتستمد منه الزاد استعداداً للمسيرة الطويلة، وتستوحي منه الخبرة تجنباً للأخطاء، وتستلهم منه الدفع المعنوي ضماناً لطول النفس، وتتشرب منه القيم والمبادىء الأصيلة حفاظاً على أصالتها ومقوماتها

والله ولي التوفيق

أهم المصادر والمراجع

ـ ابواليقظان، ابراهيم، ملحق السير (مخطوط) (د،ت).

ـ ابوكريا، يحيى بن ابي بكر، كتاب سير الائمة وأخبارهم، ت عبدالرحمن ايوب ـ الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥.

ـ احمد سليمان معروف، قراءة في مواقف الخوارج وفكرهم وادبهم، دار طلاس، دمشق ١٩٨٨.

ـ الدرجيني ابوالعباس احمد بن سعيد، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ت: ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر. ١٩٧٤.

ـ الشماخي، ابوالعباس احمد بن سعيد، كتاب السير، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٧.

ـ عبدالسلام هارون، قطوف أدبية، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٨٨.

ـ عبدالله فهد النفيس، التراث وتحديات العصر، الكويت، ١٩٩٢.

ـ عبدالمجيد دياب، تحقيق التراث العربي، منشورات سمير، القاهرة، ١٩٨٣.

ـ علي الطنطاوي، طرق الدعوة الى الاسلام، دار المنارة، جدة، ١٩٩٠.

ـ فاروق عمر، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٥.

ـ مهدي طالب هاشم، الحركة الاباضية في المشرق العربي، دار الاتحاد العربي، القاهرة، ١٩٨١.

ـ محمد عبدالقادر احمد، دراسات في التراث العربي، القاهرة، ١٩٧٩.

ـ علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ط ٢، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ١٩٨٨.

فهرس

الصفحة

معنى كلمة التراث ٥

أهمية التراث وضرورته ١١

تطور حركة احياء التراث ١٥

أهمية التراث عند القدامى ٢٧

التراث الاسلامي والاستعمار الغربي ٣٦

التراث الاسلامي المخطوط في الجزائر ٣٩

التراث الفكري الاباضي ٤٢

واقع التراث الاباضي ٤٩

واقع التراث الاباضي في العصر الحاضر ٥٣

الفكر الاباضي المعاصر والتراث ٥٥

خصائص التراث الفكري العماني ٦٤

اشكالية دراسة التراث الفكري العماني ٦٨

اشكاليات الكتابة عن التراث ٨٢

خاتمة ٩٣

أهم المصادر والمراجع ٩٤

سلطنة عمان